بعض الشواهد المكية المنسوبة خطأً إلى مقبرة المعلاة

دراسة تحليلية لأبرز الخصائص الفنية والدلالات التاريخية في ثلاثة منها

د. محمد بن هزاع الشهري
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الشريعة - جامعة أم القرى

تعود معرفتي بهذه الشواهد المكية إلى أكثر من عشرين عامًا مضت، عندما نشرت جريدة الندوة في عددها رقم (٩١١٤) الصادر في ٢١ جمادى الثانية ١٤٠٩هـ/ ٢٨ يناير ١٩٨٩م، خبر العثور على (١١) قطعة حجرية أثرية، منقوشة بنصوص تأبينية في حي النوارية، شمال مكة المكرمة، على مقربة من القبر المعروف بقبر أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[١]، بوادي سَرِف الذي يبعد عن مكة المكرمة بحوالي ١٣كم تقريبًا. والمعدوَدة

(قدم للنشر في ١٤٣٢/٩/٢٣هـ، وقبل للنشر في ١٤٣٣/٨/٢٥هـ).

(١) انظر ترجمتها في **السيرة النبوية**، لمحمد بن هشام (ت٢١٨هـ). تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط٢، البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، القسم الثاني، ص٦٤٦؛ وانظر العسقلاني، ابن حجر. **الإصابة في تمييز الصحابة**. تحقيق: عادل أحمد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٨/ ٣٢٤.

اليوم من أحياء مكة العامرة بالسكان، والمباني الحديثة، على جانبي الخط السريع الذي يربط مكة المكرمة بالمدينة المنورة[٢].

وقد ذهبت حينذاك إلى منزل المواطن الذي عثر عليها[٣]، فوجدتها كما ذكرت الجريدة شواهد قبور من القرن الرابع الهجري وما بعده، وسجلت بعض الملاحظات والقياسات الضرورية عن أهمها، إلا أن ضيق الوقت وكثرة الوافدين لرؤيتها حال دون استكمال ما يجب تدوينه. وقد تبين أن ليس فيها ذكر لأنساب بعض الصحابة، كما ذكر في تقرير الجريدة[٤]، الذي أكد الخبر وضخمه دونما دليل مقنع.

وعند العودة إلى منزل المواطن مرة أخرى، وجدت الشواهد قد اختفت إلى جهة لم يصرح بها من كان يقوم على عرضها[٥]. ورغبة في استكمال ما يجب معرفته عن هذه الشواهد لجأت إلى إدارة الجريدة التي زودتني مشكورة بما تبقى عندها من الصور التي شابها كثير من العيوب التي حالت دون قراءة بعض جملها؛ خاصة ما كان في بعضها من تلف.

(٢) البلادي، عاتق بن غيث: **معالم مكة المكرمة التاريخية والأثرية**، دار مكة المكرمة، ط٢، ص٢٥، ١٣٣. وانظر بعدها بالأميال، الفاسي، تقي الدين: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** (جزءان). تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١/٤٥٩.

(٣) ذكرت الجريدة اسمه على النحو التالي: فهد صالح اللحياني، وأثنت على تعاونه، وهو ما لمسته في زيارتي لمنزله بعد نشر الخبر.

(٤) لا تظهر الشواهد المختارة لهذه الدراسة في الصور السبع التي عرضتها الجريدة في الصفحة الخامسة.

(٥) ذكرت الجريدة أن مصلحة الآثار تنوي نقلها إلى إدارة التعليم في جدة.

ومما لاحظته للمرة الأولى بعد حصولي على بعض الصور، تماثل الشواهد كلها في طريقة النقش البارز، المفضل عند كثير من أهل هذه الحرفة في مكة المكرمة(٦). ونوعية الخط الذي نفذت به نصوصها، بحيث لم تخرج في مجملها عن المألوف في الشواهد المكية التي يعود أقدم ما عرف منها في مكة المكرمة إلى القرن الثاني الهجري، والتي نشر معظمها بجهود متفرقة(٧)، أبرزها ما صدر عن وكالة الآثار والمتاحف في وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٥هـ/ ٢٠٠٤م.

وقد عكفت على دراسة ما اتضحت لي معالمه من خلال الملاحظات التي دونتها في البداية، ومن خلال الصور التي حصلت عليها من أرشيف الجريدة، وقابلتني صعوبات في قراءة بعض الجمل والكلمات، التي لا يستقيم المعنى بدونها، وخاصة في الشاهد الأول في هذه الدراسة. وقد حاولت حينها الاستعانة ببعض المتخصصين في قراءة المخطوطات(٨)

(٦) انظر الشواهد التي نشرت في المجلد الصادر عن وكالة الآثار والمتاحف "**أحجار المعلاة الشاهدية**".

(٧) الزهراني، عبدالرحمن: **كتابات إسلامية من مكة المكرمة**، وانظر: الحارثي، ناصر: **أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة**، **أحجار شاهدية غير منشورة من متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة**، وانظر الشهري، محمد: **شاهد قبر من أول القرن السابع الهجري لإمام المقام الشافعي بالمسجد الحرام** (٥٥٨ - ٦٠٤هـ).

(٨) كان منهم محمد فهيم شلتوت، ومحمود الطناحي، وهما عالمان متخصصان في تحقيق المخطوطات، وكانا يعملان آنذاك في معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

لاستجلاء المعنى التقريبي، فلم نصل إلى قراءة واضحة لما أشكل من مفردات هذا الشاهد المؤرخ في حدود سنة ٣٩٠هـ أو ما بعدها[٩].

إلا أن ما كان غامضًا بالأمس، صار واضحًا من خلال القرائن والدلائل التي أمكن جمعها من خلال القراءة الموسعة، في كتب التراجم والمقالات المنشورة في الكتب المتخصصة في النقوش والآثار الإسلامية. وآخرها المجلد الذي صدر عن وكالة الآثار والمتاحف في وزارة التربية والتعليم، بعنوان أحجار شاهدية من مقبرة المعلاة بمكة المكرمة. فقد قرأت جميع شواهده فور صدوره سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. وقرأت ما نشره الحارثي في المجلد الذي صدر سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، بعنوان أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة، وكانت المفاجأة أن بعض الشواهد التي أشارت إليها جريدة الندوة سنة ١٤٠٩هـ ضمن ما نشر في هذا المجلد منسوبة إلى مقبرة المعلاة، ومنها الشواهد رقم (٥٣، ٥٤، ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١).

وقد دفعني خطأ الناشر في نسبتها إلى مقبرة المعلاة إلى مراجعة ما كتبت عن أهمها منذ عدة سنوات، فوجدت بعد المقارنة بعض التصحيف في الأسماء وأخطاء في بعض المفردات، بالإضافة إلى بقاء ما كان مستعصيًا فهمه في نص الشاهد المؤرخ في حدود سنة ٣٩٠هـ على حاله. ولذلك زرت متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة، حيث توجد الشواهد كما

(٩) انظر قراءة النص، ص٩-١٠.

قال الحارثي بغية التأكد من صحة ما شككت في قراءته، وكانت المفاجأة قول مدير المتحف إن الشواهد المذكورة ما تزال محفوظة في جدة، وأن لا سبيل إلى عرضها في القريب العاجل. فقررت بعد ذلك استكمال الدراسة التي بدأتها منذ سنة ١٤٠٩هـ، وقصرتها على الشواهد التي نشرها الحارثي برقم (٦٩، ٧١، ٦٤) لأمور منها:

أولاً: أنها نسبت خطأ إلى غير موقعها الحقيقي.

ثانيًا: تصحيح ما وقع في قراءة بعض مفرداتها من أخطاء.

ثالثًا: اختلافها في الخط الذي نفذت به، فالأول كوفي بسيط، والثاني بخط كوفي جيد، أما الثالث فبخط الثلث الفريد في الشواهد المكية المنشورة.

رابعًا: أنها تمثل بزخارفها المختلفة وخطوطها المتباينة حالة البساطة في الشاهد الأول والحفاوة في الشاهدين الثاني والثالث.

خامسًا: انتساب الثاني والثالث فيها إلى بعض الأسر المتنافسة على حكم مكة المكرمة في حدود القرنين الخامس والسادس الهجريين.

سادسًا: أنها تنتمي إلى فترتين مضطربتين في تاريخ مكة السياسي هما العهد الفاطمي والأيوبي.

سابعًا: اشتراك الأول والثاني منها في لفظ الشهيد الذي يعني الموت في الغالب بطريقة غير طبيعية.

أولاً: العلاقة التاريخية

إن العامين المذكورين في نهاية الشاهد الأول ونهاية الشاهد الثالث، وهما ٣٩٠هـ و٥٨٨هـ، يمثلان فترة اضطراب أمني وتذبذب سياسي لمكة المكرمة خاصة، وللحجاز عامة. حيث فاضل حكامها من الأشراف آنذاك بين الولاء للعباسيين والفاطميين، ثم الأيوبيين. في وقت ضعفت فيه الدولة العباسية عن بسط سيطرتها على الحرمين الشريفين، فضلاً عن فقدانها كثيرًا من ممتلكاتها في الشرق والغرب(١٠).

وتؤكد المصادر التاريخية أن الدولة الفاطمية(١١) التفتت إلى أرض الحرمين الشريفين، قبل استيلائها على مصر سنة ٣٥٨هـ بوقت طويل، فلماذا وكيف تم ذلك؟

(١٠) كانت معظم بلاد الشمال الأفريقي قد خرجت عن سلطة الدولة العباسية، سيما بعد زوال دولة الأغالبة سنة ٢٩٦هـ، وزوال دولة الإخشيديين من مصر سنة ٣٥٨هـ، وخضوع مصر مع بلاد الشام للدولة الفاطمية سنة ٣٥٨هـ وما بعدها. انظر إبراهيم، حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** (٤أجزاء)، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٣م، ٢/٢١٢، ٣/٢٤٧ وما بعدها.

(١١) الفاطميون: أسرة شيعية باطنية المذهب، اختلف في نسبهم الذي انتحلوه عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فمن المؤرخين من ينسبهم إلى رجل فارسي يدعى عبدالله بن ميمون القداح، ومن المؤرخين من ينسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. اتخذوا من سلمية في بلاد الشام مقرًا لدعوتهم التي وجدت لها في المغرب رواجًا مكن داعيتهم عبيد الله المهدي من الوصول إلى أنصاره ومحاربة الأغالبة، وانتزاع القيروان منهم سنة ٢٩٦هـ، وأسسوا بها دولتهم حتى تمكنوا سنة ٣٥٧هـ من غزو مصر. فأسسوا بها دولة شيعية باطنية تقول بألوهية الحاكم، حتى أسقطها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ. انظر الإسفرائيني، عبدالقاهر: **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٣هـ، ص٢٨٨؛ إبراهيم: حسن، المرجع السابق، ٣/١٤٤ وما بعدها.

جاء في بعض المصادر أن المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥هـ)[١٢] أوفد سنة ٣٤٨هـ من عاصمته المهدية في تونس، رجالاً لإنهاء الخلاف القائم في مكة المكرمة بين بني الحسن أمراء مكة المكرمة[١٣]، وبين أمراء المدينة من بني الحسين[١٤]. وقد نجحوا في بذل المال وتعويض المتضررين، ودفع الديات من أموال الدولة الفاطمية[١٥]. ويعتبر بعض الباحثين هذا التوجه نحو الحرمين الشريفين، من أولويات السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، بقصد تدعيم مركزها في العالم

(١٢) المعز لدين الله: هو معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبدالله، أبو تميم، قدم من تونس إلى مصر سنة ٣٦٢هـ. بعد أن وطد له قائده جوهر الصقلي الحكم فيها، وهو باطني مدع للنسب الفاطمي الشريف، مات بمصر سنة ٣٦٥هـ. انظر: ابن كثير، أبو الفداء (ت٧٧٤هـ): **البداية والنهاية**، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين (١٥جزءًا)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ٣٠٢/١١، ٣٦٩.

(١٣) ابن فهد، عمر (ت٨٨٥هـ): **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، (٤أجزاء)، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٤٠٨/٢؛ السنجاري، علي بن تاج الدين (ت١١٢٥هـ): **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، (٦أجزاء)، تحقيق: جميل المصري، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة، ١٤١٩هـ، ٢١٢/٢.

(١٤) كان جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واليًا على مكة في عهد الإخشيديين، ثم انضم إلى الفاطميين بعد استيلائهم على مصر سنة ٣٥٨هـ. الفاسي: **شفاء الغرام** ٣٠٦/٢؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٤٠٨/٢.

(١٥) السنجاري: المصدر السابق، ٢١٣/٢؛ السباعي، أحمد: **تاريخ مكة** (جزءان)، ط٦، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ، ١٦٨/١، ١٩٣.

الإسلامي[١٦]. وتأكيد زعامتها بالدعاء لخليفتهم من فوق منابرها الشريفة[١٧] فبدون ذلك لا معنى للخلافة في نظرهم. أضف إلى ذلك رغبتهم القوية في الاقتراب من إخوانهم في العقيدة الشيعية في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس[١٨] والتَقوِّي بهم في إضعاف الدولة العباسية التي اعتدت -على حد زعمهم- في اغتصاب الخلافة من العلويين.

ويبدو أن كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمد بن الحسن (٣٥٨ - ٣٦٦هـ)، أدرك قدرة الفاطميين في الاستيلاء على مصر، فنادى بالتزامن مع وصول قائدهم إلى أرض الكنانة، بخلع الطاعة للإخشيديين سنة ٣٥٨هـ. وأسس لبداية حكم الأشراف الموسويين[١٩]، الذي امتد من سنة (٣٥٨ - ٤٥٣هـ). وهي فترة ممتلئة بالأحداث التي سببتها التجاذبات بين العباسيين والفاطميين والقرامطة[٢٠]. بقصد الانفراد

(١٦) ماجد، عبدالمنعم: **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م، ص١٦١ - ٢١٩؛ وانظر: سرور، محمد جمال الدين: **سياسة الفاطميين الخارجية**، دار الفكر العربي، ١٣٩٣هـ، ص٣.

(١٧) السباعي: المرجع السابق، ١/١٩٤.

(١٨) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ): **الكامل في التاريخ** (١٠ أجزاء) دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٠هـ، ٧/٦٧؛ إبراهيم، حسن: المرجع السابق، ٣/١٤٨، ٤/٢٣٨.

(١٩) الفاسي: المصدر السابق، ٢/٣٠٦؛ **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، (٨ أجزاء)، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، ٣/٤٣٠؛ السباعي: المرجع السابق، ١/١٩١.

(٢٠) نسبة إلى حمدان بن الأشعث، المعروف بقرمط، الذي ظهر أولاً في الكوفة في العصر العباسي الثاني، ودخل في دعوتهم مؤسس المذهب =

بولاء أمير مكة المكرمة، وضمان الدعاء من فوق منبرها لأقدرهم على البذل وحشد الجيوش ودفع الخصوم[٢١]، واستتباب الأمن الذي اختل كثيرًا في العقود الماضية.

وقد جاء ما يفيد بأن الدولة الفاطمية أرسلت في سنة ٣٦٦هـ جيشًا أرغم عيسى بن جعفر (٣٦٦ - ٣٨٤هـ) الذي خلف والده في حكم مكة المكرمة على القبول بالدعاء للفاطميين[٢٢]. كما نقل الفاسي أن المصلين في المسجد الحرام أمروا في موسم حج سنة ٣٩٦هـ، بأن يقفوا على أقدامهم عند ذكر اسم الخليفة الفاطمي (العزيز بالله أبو منصور نزار ٣٦٥ - ٣٨٦هـ)[٢٣]، في الخطبة كعادتهم في مصر وبلاد الشام[٢٤]، وهو أمر طارئ على نظم المسجد الحرام وتقاليده المتقيدة بمنهج السلف الصالح منذ فجر الإسلام.

= الإسماعيلي، ثم انتقلت الدعوة إلى البحرين والقطيف على يد الحسين بن بهرام، وكان من قوادها أبو سعيد القرمطي الذي عاصر المعتضد بالله العباسي (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)، ثم خلفه ابنه أبو طاهر الذي هاجم مكة في ٧ ذي الحجة سنة ٣١٧هـ، وقلع الحجر الأسود في ٣١٧/١٢/١٤هـ، وحمله إلى بلاد هجر المعروفة اليوم بالأحساء والقطيف، بعد أن عاث في المسجد الحرام فسادًا، ثم ردوه سنة ٣٣٩هـ بعد غياب دام ٢٢ سنة. انظر الفاسي: المصدر السابق، ٣١٢/١؛ السباعي: المرجع السابق، ١٧٠/١ - ١٧١؛ إبراهيم: المرجع السابق، ٢٥٤/٤ - ٢٥٩.

(٢١) الفاسي: المصدر السابق، ٣٥١/٢.

(٢٢) الفاسي: **العقد**، ٤٥٨/٦؛ **الشفاء**، ٣٥٣/٢؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٤١٤/٢.

(٢٣) انظر ترجمته وحدود دولته عند إبراهيم، حسن: المرجع السابق، ١٥١/٣.

(٢٤) الفاسي: **الشفاء**، ٣٥٥/٢ - ٣٥٦؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٤٣٢/٢.

وإذا كان للعباسيين قدرة على انتزاع الخطبة لخليفتهم في كثير من الأعوام التي فرض فيها الفاطميون وجودهم في أرض الحرمين، فإن ذلك ما كان يتم في كثير من الأحيان إلا ببذل المال وقوة السلاح[٢٥]؛ الذي تسبب كثيرًا في إزهاق الأرواح، وتعذر الوصول إلى أداء فريضة الحج لكثير من الحجاج لأعوام عدة، كما حدث في سنة ٣٩٢هـ، لضعف السلطة السياسية واختلاف العرب المسيطرين على أمور الحج وطرقه[٢٦]. ولم تكن الأعوام السابقة لهذا التاريخ بأقل خطورة من أحداث هذا العام، حيث انقطع الركب العراقي لعدة أعوام، كان أقربها للتأريخ السابق، ما حدث في السنوات (٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٨٤)[٢٧].

وقد أبرزت هذه الأحداث لأن النص التأبيني المنقوش على الشاهد الأول، والمؤرخ في السابع من شهر ذي القعدة سنة [١ - ٩] وتسعين وثلاثمائة مما يدخل في هذه الفترة الدامية من تاريخ مكة المكرمة، سيما وأن إحدى مفرداته التأبينية تصف المتوفى بالشهيد[٢٨] المقتول، وتدعو له بالنصر

(٢٥) السباعي: المرجع السابق، ١/١٩٤.

(٢٦) الفاسي: **الشفاء**، ٢/٣٥٥ - ٣٥٧.

(٢٧) الفاسي: **الشفاء**، ٢/٣٤٦ - ٣٦٥؛ الجزيري، عبدالقادر: **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ص٢٤٥ - ٢٤٨.

(٢٨) جاء في صحيح السنة النبوية أن الشهيد هو: المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، دار السلام، الرياض، ١٤١٧هـ، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، الحديث ٤٧٣٢، ٥٧٣٣؛ وانظر: ابن الحجاج، مسلم: **صحيح مسلم**، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ، كتاب الإمارة، باب الشهداء، الحديث رقم ١٦٤.

على قاتله، ومثلها في نهاية الشاهد الثاني الذي يعود إلى الفترة نفسها كما دل عليه نوع الخط المنقوش به.

وإذا كان التاريخ المدون على الشاهد الأول في حدود سنة (٣٩٠هـ) مما يدخل في الفترة التي حكم فيها الحسن بن جعفر (٣٨٤ - ٤٣٠هـ) المعروف بأبي الفتوح[٢٩]، الذي دعم الفاطميين في الحجاز بقوة وتحدٍّ للدولة العباسية، فإن عهده قد تميز أيضًا بتعقب العابثين بالأمن[٣٠]. وبمد نفوذه إلى المدينة المنورة والقضاء على حكم أسرة آل مهنا سنة ٣٩٠هـ[٣١]، بتأييد ودعم من الفاطميين[٣٢]. الذين أملوا عليه القيام بأعمال ترسيخ معتقدهم بين سكان الحرمين الشريفين، ومنها الانتقاص من ثوابت هذا الدين الذي كان في صلب سياستهم المعادية لأهل السنة، منذ الوهلة الأولى لاتصالهم بأشراف الحجاز[٣٣].

(٢٩) الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بشكر بن أبي الفتوح، ولي مكة بعد أخيه سنة ٣٨٤هـ، وحكم ٢٣سنة، توفي سنة ٤٥٣هـ. انظر: الفاسي: **العقد**، ٥/٦٩-٧٩؛ **الشفاء**، ٢/٣٠٦-٣٠٧.

(٣٠) السباعي: المرجع السابق، ١/١٩٧.

(٣١) الفاسي: **العقد**، ٤/٧٧؛ **الشفاء**، ٢/٣٠٧؛ السباعي: المرجع السابق، ١/١٩٧. وآل مهنا أشراف من بني الحسين كانوا ينتقصون من نسب الفاطميين بخلاف ما كان عليه أبو الفتوح المتولي حكم مكة، انظر: الفاسي: **العقد**، ٤/٧٦ - ٧٧؛ وابن فهد: المرجع السابق، ٢/٤٢٦ - ٤٢٧.

(٣٢) الفاسي: **الشفاء**، ٢/٣٠٧؛ **العقد**، ٧/٧٦ وما بعدها.

(٣٣) انظر ما سبق.

ومما يؤكد هذا المبدأ شروع الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ)[٣٤] بالإيعاز إلى أبي الفتوح في سنة ٣٩٥هـ بسب أصحاب رسول الله ﷺ والانتقاص من بعض نسائه من فوق منبر المسجد الحرام، فتداعى الغيورون من الحجاج والسكان والمجاورين إلى تحطيم المنبر، قبل خروج الإمام[٣٥] الذي تباطأ في الخروج إلى الصلاة، حتى عمت الفوضى وتعطلت الصلاة في ذلك اليوم[٣٦].

ومن المطالب العبيدية التي تختلف المصادر في تأكيدها رغبة الحاكم الرافضي في العبث بالقبور الشريفة في المدينة المنورة، وإتلاف الحجر الأسود في الكعبة المشرفة[٣٧]، وهو ما يوضح بجلاء عدوانية هذه الدولة للإسلام وعقيدته الثابتة في الكتاب والسنة. ويتأكد هذا بما يدعيه غلاة الشيعة من قيام المهدي المنتظر عند خروجه بمثل هذه الأعمال[٣٨].

---

(٣٤) الحاكم بأمر الله: تولى الحكم وعمره إحدى عشرة سنة ونصف السنة، كان عليه في بدايتها وصي يدير أمره، ثم اشتغل بالسلطة سنة ٣٩٠هـ وتميز عهده بأربعة أدوار: الأول من سنة (٣٨٦ - ٣٩٠هـ) كان فيه رهين الوصاية، والثاني: (٣٩٠ - ٣٩٥هـ)، وفيه اشتغل بالسلطة رغم صغر سنه، والثالث: (٣٩٦ - ٤٠١هـ)، وفيه لان في سياسته فاستبدل سياسة التعصب للشيعة باللين والمهادنة، والرابع: (٤٠١ - ٤١١هـ)، وقد تميزت سياسته خلاله بالعنف الشديد. انظر: إبراهيم: المرجع السابق، ١٥٣/٣.

(٣٥) ذكر الفاسي لقبه وظنه إبراهيم بن إسماعيل لتوليه القضاء والإمامة بالمسجد الحرام قبل عام ٣٩٩هـ. انظر: **العقد**، ٢٠٣/٣، ٧٩/٧.

(٣٦) الفاسي: **العقد**، ٧٩/٤؛ السباعي: المرجع السابق، ١٩٨/١.

(٣٧) الفاسي: **العقد**، ٧٧/٤ - ٧٩؛ **الشفاء**، ٣٥٧/٢.

(٣٨) ظهير، إحسان: **الشيعة وأهل البيت**، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ص٢٤٤ وما بعدها.

لقد خشي أبو الفتوح مغبة نبش القبور الشريفة، وخاصة بعد حادثة تحطيم المنبر في المسجد الحرام، وتحزب أهل المدينة لما قدم لتنفيذه(٣٩). فخلع طاعة الفاطميين، متأثرًا ببعض المعارضين لحكمهم في مصر(٤٠)، واغتر ببعض الوعود، فنصب نفسه خليفة للمسلمين، وتلقب بالراشد، ومد نفوذه إلى بلاد الشام(٤١). ثم عاد وتراجع عن هذا الطموح، وأخلص الولاء للفاطميين، ورفض العروض العباسية المغرية، وأطلع الفاطميين عليها(٤٢). فخلعوا ابن عمه أبا الطيب عبدالرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك سنة ٤٠٣هـ(٤٣)، وأعادوه حاكمًا لمكة، حتى توفي سنة ٤٥٣هـ(٤٤).

ويتضح مما تقدم أن التشيع وصل إلى الحجاز، وامتد من ولاية جعفر بن محمد بن الحسن سنة ٣٥٨هـ إلى ما بعد وفاة أبي الفتوح سنة ٤٥٣هـ، كما استمرت الأسرة الثالثة من الأشراف الهواشم (٤٥٥ - ٥٩٧هـ)، في الدعاء للفاطميين

(٣٩) الفاسي: **العقد**، ٧٨/٤.

(٤٠) قيل إن أحد وزراء الحاكم فر من مصر بعد الاعتداء على والده، فاتصل بأبي الفتوح، وحسن له خلع طاعة الفاطميين ونصب نفسه خليفة، وقدم له بعض الضمانات البسيطة. انظر: الفاسي: **العقد**، ج٦٩/٤ - ٧٤.

(٤١) الفاسي: **العقد**، ٦٩/٤ - ٧٠؛ **الشفاء**، ٣٠٨/٢.

(٤٢) الفاسي: **العقد**، ٧٥/٤ - ٧٧؛ **الشفاء**، ٣٠٨/٢.

(٤٣) الفاسي: **العقد**، ٧٥/٤؛ **الشفاء**، ٣٠٩/٢.

(٤٤) الفاسي: **الشفاء**، ٣١٠/٢. ذكر المقريزي وصول وفد من الحجاز يطلب المال الذي كان يرسله الفاطميون لهم قبل سنة ٤١٥هـ، وهددوهم بقطع الخطبة لهم. انظر المقريزي: **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا** (٣ أجزاء)، تحقيق: محمد حلمي، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤١٦هـ، ١٦٤/٢، ١٦٩.

حتى سنة ٤٦٢هـ. حين عاد مؤسسها محمد بن جعفر (٤٥٥ - ٤٨٤هـ)[٤٥] إلى طاعة العباسيين؛ بعد عجز الدولة الفاطمية عن مده بالمال الذي وصله من الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ) في شكل هبات ومرتبات سنوية مغرية[٤٦] نظير الطاعة الخالصة للخليفة العباسي، وترك البدع العبيدية[٤٧]، إلا أن الفاطميين عادوا بقوة لاسترضاء شريف مكة بأموال أكثر بعد تغلبهم على مصاعبهم المالية في سنة ٤٦٦هـ وما بعدها[٤٨].

ومما له علاقة بالشاهد الذي ندرس محتواه في بداية هذه الدراسة، وما صاحبه من أحداث، وجود شاهد آخر يعود إلى أواخر القرن السادس الهجري وجد في المنطقة نفسها لبنت أحد أبناء البيت الحاكم لمكة المكرمة من آل فليتة[٤٩]، من الأسرة الثالثة من الأشراف الهواشم (٤٥٥ - ٥٩٧هـ)، التي رأينا اندفاع مؤسسها في موالاة الفاطميين منذ البداية؛ إما خوفًا على منصبه أو طمعًا في دعمهم الذي كان

(٤٥) انظر ترجمته في **العقد الثمين** للفاسي، ٤٣٩/١ - ٤٤٤.

(٤٦) ذكر الفاسي المبالغ المرسلة من بغداد فقال: ثلاثون ألف دينار كدعم أولي وعشرة آلاف دينار مرتب سنوي. انظر الفاسي: **العقد**، ٤٤١/١، الفاسي: **الشفاء**، ٣١٢/٢؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٤٧٣/٢ - ٤٧٥. وانظر المقريزي: المصدر السابق، ٣٠٤/٢.

(٤٧) الفاسي: **العقد**، ٤٤١/١.

(٤٨) ابن فهد: المصدر السابق، ٤٧٧/٢، ٤٧٨؛ السباعي: المرجع السابق، ٢٠٤/١.

(٤٩) ينتسب آل فليتة إلى الطبقة الثالثة من الأشراف الهواشم، الذين تولوا حكم مكة مستقلين عن الدولة العباسية ومدعمين بالصليحي اليمني الذي قضى على آخر أفراد الطبقة الثانية من الأشراف، وثبت تبعيتهم للفاطميين، وكان أولهم أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد. انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣١٠/٢؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٤٦٩/٢ - ٥٦٩.

يفوق دعم العباسيين، أو انتصارًا للمذهب الشيعي الذي اقتنع به الشريف وإخوته(٥٠).

وقد سار على نهجه من خلفه من أبناء الأسرة الثالثة(٥١)، مع تميز عهودهم باحتكاك قوي مع أمراء الحج العباسي(٥٢)، وصراع مرير فيما بينهم على السلطة(٥٣). حتى إذا ما جاء عهد عيسى بن فليتة (٥٥٧ - ٥٧٥هـ)(٥٤)، كثر النزاع وتعاظمت الأحداث التي شملت معظم الفترة التي حكم فيها مكة المكرمة، تارة بينه وبين ابن أخيه القاسم بن هاشم(٥٥).

(٥٠) نقل ابن فهد في المصدر السابق، ٤٧٧/٢، حوارًا دار بين الأمير محمد بن أبي هاشم، وبين أعوانه بعد موت الخليفة العباسي المقتدي بالله (٤٦٩ - ٤٨٧هـ) والسلطان السلجوقي آلب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ)، فرغبوا له الدعوة للفاطميين، وقالوا: إنما سلمنا هذا الأمر إلى بني العباس، لما عدمنا المعونة من مصر، ولما رجعت إلينا، فإنا لا نبتغي بابن عمنا بدلاً.

(٥١) هم أبناء الأسرة الثالثة: قاسم بن محمد (٤٨٧ - ٥١٨هـ)، فليتة بن قاسم (٥١٨ - ٥٢٧)، وهاشم بن فليتة (٥٢٧ - ٥٤٥هـ)، والقاسم بن هاشم (٥٤٥ - ٥٥٦هـ). انظر: الفاسي: **الشفاء**، ٣١٢/٢ - ٣١٣.

(٥٢) أبعد القائد العباسي (أصبهبذ بن ساوتكين) قاسم بن محمد عن مكة سنة ٤٨٨هـ، وفي سنة ٥٥٥هـ خرج القاسم بن هاشم من مكة عندما علم بنية القائد العباسي آرغش في قتاله. انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣١٢/٢ - ٣١٣؛ السباعي: المرجع السابق، ٢٠٦/٢، ٢٠٨.

(٥٣) اختلف أبناء فليتة بعد وفاة والدهم سنة ٥٢٧هـ على الحكم، فقهرهم هاشم بقوة السلاح، كما أخرجَ عم القاسم بن هاشم، ويدعى عيسى بن فليتة، من مكة سنة ٥٥٧هـ، وتولى الإمارة فيها. انظر الفاسي: **العقد**، ٤٦٦/٦.

(٥٤) انظر ترجمته في **العقد الثمين**، ٤٦٥/٦ - ٤٧٠.

(٥٥) الفاسي: **العقد**، ٣٥/٧؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٥٣٢/٢؛ وانظر ترجمته في **العقد** برقم ٢٣٢٧.

وتارة بينه وبين أخيه مالك بن فليتة في سنة ٥٦٥هـ[٥٦] وما بعدها.

ومما يميز هذا العهد إشرافه على نهاية العهد الفاطمي في مصر، وتأثيراته السلبية التي ذكرنا بعض جوانبها، كما حرص آخر أمراء هذا العهد على الاستفادة من النفوذ الزنكي[٥٧] الذي بدأ يثبت الأمن في الحجاز في أواخر عهد الدولة الفاطمية[٥٨]. وقد اختتم عيسى بن مكثر حياته الحافلة بالأحداث، باشتباك مع أمير الحج العراقي في موسم سنة ٥٧٠هـ[٥٩].

أما ابنه داود بن عيسى الذي خلف أباه في الإمارة، فلم يستطع الاحتفاظ بها أكثر من بضعة أيام، حتى عزله الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ)[٦٠]. وأسند الإمارة إلى أخيه مكثر بن عيسى، الذي عزل في نهاية سنة ٥٧١هـ، بسبب محاولته الابتعاد عن الخلافة العباسية[٦١]،

(٥٦) الفاسي: **العقد**، ٤٦٦/٦ - ٤٦٧.

(٥٧) كان مؤسس الدولة الزنكية عماد الدين زنكي (٥١١ - ٥٤١هـ) أميرًا على الموصل في عهد الدولة العباسية، فحارب الصليبيين، وانتزع منهم بعض بلاد الشام، ثم استقل بها، ولما توفي سنة ٥٤١هـ، قسمت بلاده بين أولاده، وكان النصيب الأكبر منها لولده نور الدين محمود بن عماد الدين. انظر ابن كثير: المصدر السابق، ٢٢٩/١٢، ٢٣٥، ٢٩٧، ٣٣٥؛ إبراهيم: المرجع السابق، ٦٨/٤ - ٧٦.

(٥٨) الفاسي: **الشفاء**، ٣٦٦/٢؛ السباعي: المرجع السابق، ٢١٠/١، ٢٢١.

(٥٩) الفاسي: **الشفاء**، ٣٦٧/٢.

(٦٠) ابن الفقيه، جمال الدين: المصدر السابق، ص٣٠٧ - ٣٠٩.

(٦١) ينقل الفاسي عن ابن الأثير القول بأن سبب عزل مكثر بن عيسى بناؤه قلعة على جبل أبي قبيس، ثم يرجح الفاسي سبب =

واصطدامه مع أمير الركب العراقي طاشتكين في نهاية الموسم(٦٢). فأعيد أخوه داود بعد أن أخذ عليه العهد بإسقاط جميع المكوس التي كانت تجبى بوحشية من حجاج بيت الله الحرام(٦٣). ثم أعيد معه مكثر بين عيسى شريكًا لمدة غير معروفة(٦٤)؛ استبد في نهايتها مكثر بالحكم عشر سنين، كان آخرها سنة ٥٩٧هـ.

وقد اضطر الأيوبيون إلى وضع حد لنهاية حكم الأشراف الهواشم(٦٥)، فعينوا سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أميرًا لمكة المكرمة لفترة محدودة، تولى فيها إزالة النداء، بـ "حي على خير العمل" من مساجد الحجاز، وقمع المفسدين المخلين بأمن البلد(٦٦)، ورسخ مظاهر الإشراف الأيوبي على بلاد

= العزل إلى أحداث وقعت من أهل مكة على أمير الحج العراقي سنة ٥٧٠هـ. انظر **الشفاء**، ٣٦٨/٢. انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ١٣٧/٩.

(٦٢) الفاسي: **الشفاء**، ٣٦٧/٢؛ **العقد**، ٢٧٦/٢؛ ابن فهد: المصدر السابق، ٥٣٦/٢، ٥٣٧؛ الجزيري: المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٦٣) ابن جبير، محمد بن أحمد: **رحلة ابن جبير ٥٧٨ - ٥٨١هـ**، ط٢، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٨ - ٤٨؛ انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣٦٨/٢؛ الجزيري: المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٦٤) الفاسي: **العقد**، ٢٧٤/٧.

(٦٥) ذكر ابن جبير في رحلته المعروفة أن مكثر بن عيسى بن فليتة أوجس خيفة من مجيء سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى مكة المكرمة سنة ٥٧٩هـ في طريقه إلى اليمن. انظر المصدر السابق، ص١١٠ - ١١٢.

(٦٦) ذكر الفاسي في **الشفاء**، ٥١٤/٢، ٥١٥، أن ولايته إمارة مكة كانت سنة ٥٨١هـ، وأنه ضرب الدراهم والدنانير باسم أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي. انظر الجزيري: المصدر السابق، ص٢٦٥؛ ابن فهد: المصدر السابق، ج٥٥٣/٢.

الحرمين الشريفين، ثم بدأ عهد الشريف قتادة بن إدريس مؤسس الأسرة الرابعة من الأشراف[٦٧]، فلم يجد بدًا من إخلاص الولاء للعباسيين وأنصارهم الأيوبيين، فابتعد كثيرًا عن الممارسات الشيعية، وأزال الظلم الذي لحق بأهل السنة في مكة المكرمة، وتؤكد مصادر هذا العصر أن صلاح الدين الأيوبي استقر في حكم مصر بمباركة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ) وتأييده له[٦٨]، سيما بعد نجاحه في القضاء على الحكم الفاطمي واستئصال أتباعه في الشام وبلاد الحجاز[٦٩]، ومناصرته أهل السنة والجماعة.

ثانيًا: الدراسة الوصفية والتحليلية

١- الشاهد الأول:

قطعة من حجر البازلت القوي، المماثل لمعظم الشواهد المكية المنشورة، أملس الوجه طوله في أوسع أجزائه ٩١سم، وعرضه من أعلاه ١٩سم، و٢٧سم مما يلي الوسط، و٣٨سم من الوسط، و٣٠سم من أسفله، وسمكه ٢٠سم تقريبًا، به آثار تلف أخفت بعض كلماته وحروفه، صنفه الحارثي تحت الرقم ٦٩.

كتب الشاهد بالخط الكوفي البسيط[٧٠]، الخالي من

(٦٧) انظر ترجمته عند الفاسي في **العقد**، ٣٩/٧ - ٦١؛ انظر السباعي: المرجع السابق، ٢٢٤/١.

(٦٨) ابن الفقيه: المصدر السابق، ص٣٠٧ - ٣٠٩؛ ابن كثير: المصدر السابق، ٢٨٥/١٢؛ إبراهيم: المرجع السابق، ٣٢٢/٤ - ٣٢٣.

(٦٩) عن المآسي التي أحدثها هذا النظام المعادي لأهل السنة، انظر ابن كثير: المصدر السابق، ٢٨٧/١٢.

(٧٠) كان الخط الكوفي في بداية أمره مجرد حروف قائمة ومعترضة، تظهر نهاياتها واتصالها بغيرها على شكل زوايا قائمة، ليس بها توريق =

التوريق والتضفير[٧١]، بطريقة مرتجلة ليس فيها كما أعتقد توزيع مسبق لمفردات النص التأبيني الذي خرج في بعض حروفه عن الإطار المحدد لكتابة النص، الذي حوى ٧٦ كلمة. موزعة على ١٦سطرًا، وليس لحروفه رسم موحد، ولا قاعدة ثابتة تعين على قراءة ما خفي من مدلول بعض الكلمات (الشكل رقم ١)، وقد حدد النص بإطار غائر نجم عن استئصال ما خرج عن حدود الكلمات والحروف، ثم كتب النص بدون توزيع متقن؛ فجاء عدد الكلمات في ثلثي الشاهد من الأعلى أكثر من عددها في الثلث الأخير بكلمة واحدة[٧٢].

كما زين أعلى الإطار المذكور بزخرفة بسيطة، قوامها ثلاثة أرباع الدائرة، بطرفها الخارجي إطاران بينهما نقاط عريضة متجاورة، ثم يليها خطوط منكسرة على هيئة المثلثات المعتدلة أو المقلوبة، ثم زخرفة نباتية ساذجة في الوسط، قصد منها في الغالب ملء الفراغ بهذا النوع من الزخرفة البسيطة، التي يكثر

= أو تفريع أو تضفير. انظر: محمد زكي: **فنون الإسلام**، دار الفكر العربي، ص٥٣٨؛ جمعة، إبراهيم: **دراسة في تطور الكتابة الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى**، دار الفكر العربي، ص٤٥.

(٧١) الخط الكوفي المورق أو المشجر، تخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية دقيقة محملة بالوريقات المختلفة الأشكال، وتزخرف نهايات حروفه بما يشبه الفروع، أما التضفير فحروفه مترابطة تنجم عن تداخلٍ حروف الكلمة الواحدة أو الكلمتين، مما يشكل في النهاية أشكالاً هندسية بديعة على شكل ضفائر الشعر. انظر زكي: المرجع السابق، ص٢٣٨، ٢٤١.

(٧٢) جاء عدد كلمات الأسطر الأولى من (١-١٣) خمس كلمات، بينما جاءت الكلمات في الأسطر الأخيرة (١٤-١٦) ثلاث كلمات، وبهذا فإن عدد الكلمات في الأسطر من (١-١٠) خمسون كلمة، في حين أن عددها في الأسطر (١١-١٦) خمس وعشرون كلمة فقط.

وجودها بأشكال مختلفة في بعض الشواهد المكية المنشورة[٧٣]، وقد يكون لغربة المتوفى وعدم انتمائه إلى الأرض التي دفن فيها، كما يبدو من اسمه، أثر في عدم العناية بزخرفة الشاهد كما هي حال أمثاله[٧٤] من الشواهد، وليس في الشاهد ما يميزه عن غيره من الشواهد المكية المنشورة؛ إلا في غرابة مدلول بعض الكلمات[٧٥]، التي دلت على غربته واختلاف معتقده.

قراءة النص التأبيني للشاهد الأول:

	١	٢	٣	٤	٥	٦
١	بسم	الله	الرحمن	الرحيم	كل	
٢	نفس	ذائقة	الموت	وإنما	توفو	
٣	ن أجوركم	يوم	القيامة	فمن	زحز	
٤	ح عن	النار	وأدخل	الجنة	فقد فا	
٥	ز وما	الحياة	الدنيا	إلا متاع	الغر	
٦	ور هذا	قبر	محمد	بن	عبد ا	
٧	لله	؟[٧٦]	المعروف	ببغا	الشهيد	
٨	نصره	الله على	قاتله[٧٧]	وأدحله	ا[٧٨]	

(٧٣) انظر **أحجار المعلاة الشاهدية**، الشاهد رقم (١٢٣، ١٩١، ١٩٢، ٢٧٨)؛ والحارثي: **أحجار شاهدية غير منشورة من متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة**، الشاهد رقم (٥٩، ٦٨، ٦٩).

(٧٤) غالب: المرجع السابق، ص٢٣٣.

(٧٥) كبغا، والمنتخبين.

(٧٦) كان رسمها كالتالي ﴿قَانِعٌ﴾، ولم أصل إلى قناعة بمعناها الحقيقي، وقد تركها الحارثي بدون قراءة.

(٧٧) تركها الحارثي بدون قراءة.

(٧٨) ألف زائدة لم يشر إليها الحارثي.

تابع الجدول:

	١	٢	٣	٤	٥	٦
٩	جنات	الفردوس	برحمتك	أنـ(٧٩)	-	
١٠	ت يا الله	وتوفي	يوم	الأربعاء	-	
١١	لسبع	خلون	من شهر	ذي	القعدة	
١٢	سنة(٨٠)	تسعين	وثلاثمائة	والحمد		
١٣	لله	رب	العالمين	وصلى	الله	على
١٤	سيدنا(٨١)	محمد	خاتم	الـ		
١٥	نبيين(٨٢)	وعلى	التأمين(٨٣)	من ا		
١٦	صحابك(٨٤)	المنتخبين(٨٥)	وسلم			

(٧٩) لم ترد عند الحارثي وتكملتها في أول السطر الثاني وهو حرف التاء.

(٨٠) جاءت غير واضحة فلا يعرف هل معها رقم للآحاد، وهو أمر يرجحه وجود رسم ظاهر لأحد الحروف على النحو التالي ﻫ ، ولم يشر إليه الحارثي.

(٨١) قرأها الحارثي: (نبيك)، وأهمل النون والألف الظاهرة بين كلمة سيد ومحمد. ووضع بدلها بين قوسين حرفي الميم والألف (ما).

(٨٢) قرأها الحارثي: المرسلين، ولا وجود لبداية الكلمة في آخر السطر الأول ولا لحرف السين في أول السطر رقم١٥.

(٨٣) قرأها الحارثي: (آله وصحبه). ولكن الرسم الظاهر لا يوافقها.

(٨٤) تنقصها بعض الحروف، وهو ما لم يشر إليه الحارثي ولا إلى الكلمة التالية لها، ويبدو من السياق أنها أصحابك.

(٨٥) قرأها الحارثي: (أجمعين)، ورسمها واضح في الدلالة على معناها الذي ذكرته.

التحليل والمقارنة:

تضمن النقش المدون على الشاهد الأول البسملة التي اعتاد النقاشون المكيون افتتاح النصوص التأبينية بها[٨٦]، اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ[٨٧]. كغيرهم من أهل هذه المهنة في مختلف بلدان العالم الإسلامي[٨٨]، إذ لا يعقل أن يكون للشواهد الإسلامية دلالة دينية بدونها[٨٩]، ثم اختيرت الآية (١٨٥) من سورة آل عمران لتأكيد وقوع الموت على كل نفس، بل على كل مخلوق[٩٠]. وقد احتلت مع البسملة ثلث مساحة الشاهد، بحروف كبيرة وأسطر متباعدة، وقد رأيت كثيرًا من الشواهد المكية القريبة من تاريخ الشاهد، تحبذ نقش هذه الآية الكريمة تيمنًا بما فيها من رحمة وأمل في البعد عن النار والفوز بالجنة التي ترجوها النفوس

(٨٦) تضمن المجلد الذي نشرته وكالة الآثار عن شواهد مقبرة المعلاة (٥٩١) شاهدًا، معظمها مبدوءة بالبسملة، وكذلك الشواهد التي نشرها الحارثي باسم أحجار شاهدية غير منشورة، وعددها (٥٣) شاهدًا، أما الشواهد التي نشرها باسم أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة وعددها (٧٣) شاهدًا، فبها أربعة شواهد لا تبدأ بالبسملة هي: (١، ٥٤، ٦٤، ٧١).

(٨٧) ذكر الإمام أحمد بن حنبل قول رسول الله ﷺ: كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر، أو قال: أقطع. انظر **مسند الإمام أحمد**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، مسند المكثرين، الحديث رقم ٨٦٩٧.

(٨٨) ذكر إبراهيم جمعة في المرجع السابق، ص٨٤، عناصر الشاهد الإسلامي، فذكر البسملة في أولها.

(٨٩) جمعة: المرجع السابق، ص٨٤؛ غالب، عبدالرحيم: **موسوعة العمارة الإسلامية**، جروس بروس، بيروت، ص٢٣٣.

(٩٠) قال تعالى في سورة القصص، الآية رقم ٨٨: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾.

المؤمنة المغادرة للدنيا الفانية، أو يهديها محبوهم لهم بعد قراءتهم لهذه الآية الكريمة.

ثم أعقب ذلك باسم المتوفى واسم والده "محمد بن عبدالله" مجردًا من الألقاب العلمية أو المدنية[٩١]، المعتاد ذكرها في كثير من الشواهد المكية، ثم أتبع ذلك بكلمة غير واضحة لم أصل إلى قناعة بمراده منها[٩٢]. وقد جاءت وفق الرسم التالي ﴿ﮈﮉﮊ﴾ ، فهي تعني بنقاش، بنعاش، بنعاتيو. ويتشابه رسم الحرف الأخير منها مع حرف الراء الذي اختتمت به كلمة "شهر" في السطر رقم (١١) أو حرف الواو في كلمة "الحياة" في السطر رقم (٥)، ومع الحرف الأخير من كلمة "سبعين" في السطر (١٢). إذ إن النقاش لم يلتزم طريقة واحدة في رسمه للحروف المبتدئة أو المتوسطة أو الأخيرة. الشكل رقم (٢). فأحيانًا ينقش ما يشبه السن المتوسطة التي تتطلبها الباء أو التاء أو الثاء أو النون أو الياء، كما يظهر في كلمة برحمتك في السطر التاسع أو في كلمة "سلم" التي اختتم بها النص. كما أسقط إحدى سنون الشين أو أدمجها مع غيرها كما في كلمة "الشهيد" في السطر الرابع.

ثم وصفه "بالمعروف ببغا"، وهو اسم تركي عرفته مكة المكرمة في العصر العباسي الأول خاصة في عهد الخليفة

(٩١) عن هذه الألقاب وتطورها في الحضارة الإسلامية. انظر: الباشا، حسن: **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

(٩٢) وضع الحارثي في موضعها نقاطًا كدلالة على عدم فهم معناها.

المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢١هـ)، وما بعدها[٩٣]، وأتبعه بكلمة "الشهيد"[٩٤] التي دلت مع غيرها على أنه مات مقتولاً بطريقة لا نعرف سببها ولا كيفيتها. إلا أن فيما ذكرنا من أحداث الصراع بين العباسيين والفاطميين ما يجعله إحدى ضحايا هذا النزاع الذي دام لقرون عدة؛ لأسباب سياسية وعقدية.

وقد أخطأ النقاش في رسمه لكلمة "المعروف" التي جاءت وفق الرسم التالي ﭐلۡمَعۡرُوفُ ، فقدم الواو على الراء وزاد واوًا أخرى[٩٥]. وليس لها وفق سياق النص من معنى إلا كلمة "المعروف". ولأن تقديم بعض الحروف على بعضها أو تكرارها أو إسقاطها أمر شائع في الشواهد المكية المنشورة[٩٦]. وقد يكون مردها إلى مباشرة من لا يحسن القراءة والكتابة لهذه المهنة التي تتطلب، إلى جانب المثابرة والصبر، فطنة ودراية

(٩٣) انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣٨٧/١، ٣٨٨؛ إبراهيم: المرجع السابق، ٨٠/٢، ١٤٤، ١٩٢، ١٩٧، ٢٤٩، ٤٦٠، ٩/٣.

(٩٤) استخدم لقب الشهيد للدلالة على المقتول أو المطعون أو الغريق أو الميت بالهدم أو الشهيد في سبيل الله، كما دلت عليه السنة النبوية، انظر الهامش (٢٨). وقد ذكر الباشا في المرجع السابق تطور استخدام هذا اللقب عبر التاريخ الإسلامي بما لا يخرج عن المعنى الذي حددته السنة النبوية، ص٣٦٣.

(٩٥) حدث مثل هذا الخطأ في أحد الشواهد المنشورة من قبل وكالة الآثار عن شواهد المعلاة، فقد كرر النقاش كلمة واحدة مرتين عند ذكره للشهادة في أول النص بعد البسملة. انظر الشاهد رقم (١١١، ١١٢، ١٧٩، ١٨٨، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٧٥)، وغيره.

(٩٦) انظر **أحجار المعلاة الشاهدية**، الشاهد رقم (٧٥، ٧٧، ٨٦، ١٠٨، ١٨٨، ١٩١، ٢١١، ٢٣١).

بأنواع الخطوط، فضلاً عن المعرفة الجيدة بقواعد اللغة العربية نحوًا وصرفًا.

وتزداد القناعة قوة بأن محتوى النصوص في الغالب مما يعرضه صاحب المهنة على طالب الشاهد من الصيغ المعروفة لديه(٩٧). والتي يرضى بها قريب الميت، لضيق الوقت أو يؤلف - إن كان له ذوق ودراية بالأدب وفنونه - بين بعضها . أو يقترح صيغة من عنده، أو يطلب تنفيذ ما أوصى به المتوفى قبل موته(٩٨). فإذا ما وقع خطأ من النقاش وتعذر إصلاحه، اضطر إلى قبوله. سيما إذا كان الوقت ضيقًا والثمن قد دفع. ومما له علاقة بهذا الموضوع ما ذكره ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ، في مادة وصل، من اعتياد أهل هذه الحرفة في زمنه على نقش الشواهد بما يختارونه من الأذكار والأدعية وترك ما يكفي لكتابة اسم المتوفى وتاريخ الوفاة(٩٩). ولذا فإن بعض الشواهد المكية المنشورة درجت على جعل اسم المتوفى أو تاريخ وفاته في نهاية الشاهد، مع تقارب في رسم الحروف أو تباعد(١٠٠)، حسب كبر الاسم المضاف أو صغره.

(٩٧) بعد قراءة الشواهد المنشورة عن مكة وجدت تشابهًا كبيرًا بين معظمها في الاقتباسات القرآنية والأدعية والأشعار.

(٩٨) الحارثي: **أحجار شاهدية غير منشورة**، ص١١٤.

(٩٩) ابن منظور، جمال الدين (ت٧١١هـ): **لسان العرب** (١٥جزءًا)، دار صادر، بيروت، ٧٢٩/١١.

(١٠٠) انظر وكالة الآثار: المصدر السابق، الشاهد رقم (٢٥٣، ٣١٥، ٣٤٦/أ، ٣٥٩، ٣٩٤).

ومهما يكن الأمر فإن شاهدنا يمتلئ بأخطاء متنوعة، ذكرنا منها السنون الزائدة التي تظهر في غير موضعها أو الحروف المتكررة، أو الناقصة، أو الرسم الكبير أو الصغير لبعض الكلمات. أما الكلمة التي افتتح بها السطر الثامن والتي جاءت وفق الرسم التالي ﮊ، فقد تعني بعده، بعزة. وليس لها من احتمال ثالث؛ إلا إذا سلمنا بأن السن الأول في الكلمة التالية لبغا في نهاية السطر السابع هو لام، ومن ثم تقرأ الكلمة "الشهيد". مع احتمال أن يكون السن الثالث للسين لاصقًا بالهاء. فتكون الكلمة مع ما قبلها "المعروف ببغا الشهيد نصره الله على قاتله". وبذلك يستقيم المعنى مع الكلمة التي جاءت في آخر السطر الثامن "تدخله" التي أنقص النقاش من حروفها التاء في أول الكلمة، وبذلك يستقيم بعدها المعنى بالدعاء للميت، بدخوله جنات الفردوس التي جاءت واضحة لا لبس فيها، كما دلت عليها الاستغاثة بلفظ الجلالة في أول السطر العاشر.

أما جملة تاريخ الوفاة التي تأتي في معظم الشواهد المكية بعد الصيغ الدعائية، فقد جاءت في هذا الشاهد بعد الكلمة الأولى من السطر العاشر دون غموض، لتدل على أنه توفي "يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ذي القعدة"(١٠١)، مع خروج التاء المربوطة في آخر كلمة "القعدة" عن الإطار الذي حدد

(١٠١) غالبًا ما تكون مواكب الحج قد وصلت إلى مكة المكرمة في أول هذا الشهر وكان المتولي لحكم مكة المكرمة أبو الفتوح الموالي للعبيديين. انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣٥٥/٢، والجزيري: المصدر السابق، ص٢٤٨.

للنص، كما هي الحال من قبل مع حرف الدال في نهاية السطر السابع في كلمة "الشهيد". وهو أمر تكرر مثله في هذا الشاهد.

وحددت الكلمة التي ابتدئ بها السطر الحادي عشر الليلة التي فارق فيها المتوفى الحياة الدنيا، كما هي الحال في كثير من الشواهد المكية(١٠٢). ولأمر طارئ افتقدنا وضوح البداية للسطر الثاني عشر، فقد لحق بهذا الجزء من الشاهد تلف أخل بمدلول الكلمة الأولى، فلم نعرف نوع الرقم الأحادي الذي سبق رقم العشرات، وهو أحد الأرقام الأحادية [١ - ٩]، مع ظهور زخرفة فريدة في نهاية الحرف الأخير منها على النحو التالي ﻟ، وتشبه إلى حد ما نهاية حرف السين في كلمة "نفس" الظاهرة في بداية السطر الثاني، وكلمة "لسبع" في أول السطر الحادي عشر؛ فهل تراها سنة سبع أو تسع؟ ثم يأتي رقم العشرات واضحًا وبعده رقم المئات، ليكون الرقم المنقوش بعد السنة المجهولة في رقم الآحاد ٣٩٠ للهجرة الشريفة، وبذلك تتحدد وفاة المقتول في نهاية القرن الرابع الهجري، الزاخر بالأحداث الدامية في مكة المكرمة، إثر تغلغل النفوذ الفاطمي، واستمالتهم لشريف مكة شكر بن أبي الفتوح المعروف بالحسن بن جعفر بن محمد(١٠٣).

اختتم النقاش السطر رقم (١٢) بكلمة "والحمد"، وشغل السطر رقم (١٣) بلفظ الجلالة وبعده "رب العالمين" وبصلاة

(١٠٢) انظر **أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة**، الشاهد رقم (٣٠٩، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٠)، وغيره.

(١٠٣) شكر ابن أبي الفتوح: سبقت ترجمته.

الله على سيدنا محمد ﷺ، وجاء بتكملتها مبدوءة بكلمة "سيدنا محمد" في السطر رقم (١٤)، ثم أتبعها بكلمة "النبيين"[١٠٤] في أول السطر رقم (١٥)، وختمها بكلمة "التامين" وحرف الجر "من"؛ وحرف الألف "من" أول الكلمة التالية لها[١٠٥]. وقد احترت في فهم مراده من هذه الكلمة حتى عثرت على مقصوده منها[١٠٦]. ثم بدأ السطر الأخير بكلمة غير واضحة لتلف أصاب هذا الجزء من الشاهد. بيد أن الحاء والكاف تؤكد كلمة "أصحابك"[١٠٧]، مع احتمال وجود خطأ في إهمال بعض الحروف الأولى من هذه الكلمة[١٠٨] التي لا يحتمل السياق سواها. خاصة وقد أتبعها بكلمة "المنتخبين"، التي وضحت مراده من كلمة "التامين" في نهاية السطر الخامس عشر.

فقد ذكر صاحب مجلة المنار أنها من الألفاظ التي اعتاد الشيعة إطلاقها على من يعدونه من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١٠٩]، فلا يذكرون الصحابة في مثل هذا المقام إلا

(١٠٤) قرأها الحارثي: (المرسلين)، وهو ما لا يتفق مع حروف كلمة النبيين الظاهرة بوضوح في أول السطر رقم (١٥).

(١٠٥) لم يشر إليها الحارثي في قراءته للنص.

(١٠٦) انظر كلمة المنتخبين، الهامش رقم (١١٠).

(١٠٧) وضع الحارثي: (آل وصحبه)، بدل هذه الكلمة وهو ما لا يظهر في النقش.

(١٠٨) قرأها الحارثي: (أجمعين)، وهو خطأ لا تحتمله الحروف الظاهرة بوضوح في النقش، وقد زاد النقاش سنًا بين التاء والخاء. وجاء في **لسان العرب**، ٧٥٢/١: أن نخبة القوم خيارهم.

(١٠٩) انظر، رضا، محمد رشيد: **مجلة المنار**، مج٢٨، ص٣٤٩.

بوصف يقيدون به الصلاة والسلام على المنتخبين أو المنتجبين[١١٠] من الصحابة المرتدين حسب زعم الغلاة من علمائهم إلا الثلاثة المنتخبين[١١١]. وللتدليل على صحة ما قاله صاحب المنار، العارف بأمور الشيعة وتأويلاتهم الغامضة[١١٢]، ما ذكره الفاسي عن إمام المقام الزيدي بالمسجد الحرام في حدود سنة ٧٢٦هـ[١١٣]. أنه كان يدعو في الحرم المكي الشريف بعد صلاة الصبح والمغرب بدعاء بدعي للإمام الرسولي محمد بن طاهر (٧٠١ - ٧٢٩هـ). جاء فيه: "اللهم صلِّ على محمد وعلى أهل بيته المصطفين الأطهار، المنتخبين الأخيار..."[١١٤]. وقد ذكر الفاسي انعقاد

(١١٠) جاء في **لسان العرب**، ٧٤٨/١، في مادة (نجب) عدة معان، منها: الفضل والنفاسة في الخلق والكرم والسخاء، ثم ذكر حديثًا شريفًا أن كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء، وقد أورده الإمام أحمد بن حنبل في **مسنده** بعدة روايات منها قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس من نبي كان قبلي إلا قد أعطي سبعة نقباء وزراء نجباء، وأني أعطيت أربعة عشر وزيرًا نقيبًا نجيبًا، سبعة من قريش وسبعة من المهاجرين". منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، انظر مسند الخلفاء الراشدين، الحديث رقم٦٦٥، وقد ذكر بقيتهم في أحاديث أخرى انظر الحديث رقم ١٢٠٦، ١٢٦٣، ١٢٧٤، كلها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١١١) ظهير، إحسان: **الشيعة والسنة**، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٤٠١هـ، ص٤٩.

(١١٢) نشر في **مجلة المنار** ردود على عقائدهم ومناظرات دارت بينه وبين بعض علمائهم، انظر: مج ٢٨، ص٣٥٠، ٤٣٩، ٥١٦، ٦٨٤، ٧٧٦.

(١١٣) كان هذا المقام بين الركن اليماني والحجر الأسود، انظر الفاسي: **العقد**، ٩٨/٦. وعن موضع المقامات الأخرى، انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣٩١/١.

(١١٤) الفاسي: **العقد**، ٩٨/٦.

مجلس في المسجد الحرام بحضرة القاضي عز الدين بن جماعة لمحاكمة أحد الزيدية سنة ٧٥٠هـ في الرفض ومساره الباطل[١١٥].

وتأكيدًا لانفراد الشيعة بكلمة "المنتخبين" الواردة في نهاية الشاهد، تابعت جميع الصلوات التي جمعها يوسف بن إسماعيل النبهاني السني، في كتابه المشهور بـ: "سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين". والمطبوع في بيروت سنة ١٣١٦هـ، والمحتوي على (١٣٠) صلاة، شغلت أكثر من (١٤٧) صفحة، فلم أجد فيها ذكرًا لكلمة "المنتخبين"، التي يرفض أهل السنة والجماعة مراد الشيعة منها.

٢- الشاهد الثاني:

قطعة متوسطة من حجر البازلت طوله ٦٨سم وعرضه ٣٤ سم، خال من آثار التلف، له وجه أملس وليس به نتوء أو تقعر. نشره الحارثي مع (٧٣) شاهدًا، ونسبه خطأ مع عشرة شواهد إلى مقبرة المعلاة[١١٦]. وأعطاه رقم (٦٤)، كتب بالخط الكوفي البارز[١١٧]، الخالي من التوريق والتضفير[١١٨]. يمتاز عن النقش السابق بجمال المظهر وحسن التنظيم، فقد

(١١٥) **العقد**، ٨/٨٩.

(١١٦) انظر أول هذا البحث.

(١١٧) ذكر الحارثي أن خطه غائر، بينما هو بارز كما يظهر في الصورة ولوحة التفريغ. فقد استأصل النقاش بمهارة عالية ما حَول الحروف والكلمات والزخارف من وجه الحجر، فبدت الكتابة غامقة على أرضية بيضاء.

(١١٨) انظر الهامش رقم (٧١).

تناسقت زخارفه الهندسية والنباتية مع النص التأبيني الذي تنوعت مفرداته، داخل عقد مفصص[١١٩]، بخمسة فصوص على كل جانب، غير الفص الذي يشكل مفتاح العقد. ملئت كوشته[١٢٠] بزخارف نباتية قوامها سيقان وفروع نباتية ملتوية بها أوراق وأزهار متماثلة إلى حد كبير. الشكل رقم (٣).

ومن وراء ذلك إطار هندسي جميل عرضه نحو ٢سم يحيط بالشاهد من ثلاث جهات (الأعلى والأيمن والأيسر)، بينما ترك الجانب السفلي لاستكمال مفردات نسب الميت، التي خرجت لكثرتها عن حدود الإطار الأول الذي أحاط بالنص، وعن حدود الإطار الثاني الذي أحاط بالزخارف النباتية والهندسية، ولن يتأتى لأحد مهما كانت مهارته تنفيذها إلا بتخطيط مسبق سار النقاش كما يبدو على هديه، فجاءت زخارفه وكتاباته آية في حسن التنظيم والتنفيذ.

وقد ملأ النقاش الإطار الثاني بخمسين وردة صغيرة، منها (١٩) وردة في الجانب الأيمن، ومثلها في الجانب الأيسر، و(١٢) وردة في الجزء العلوي من الشريط الخارجي، بكل وردة أربعة فصوص تحيط بدائرة صغيرة في الوسط.

(١١٩) عقد يتألف من أنصاف دوائر، تلتف على بطن العقد وتنفتح مع فتحته. انظر غالب: المرجع السابق، ص٢٨١.

(١٢٠) هو البناء الواقع فوق مفتاح العقد وعلى جانبيه. انظر غالب: المرجع السابق، ص٣٢٩؛ وفريد شافعي: **العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة** (٣١ - ٣٥٨هـ)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ، ص٢١٧.

وتبدو مهارة النقاش الفائقة في دقة تنفيذ هذه الزخارف الصغيرة، فلم يلحظ فيها عيب؛ إلا في الجزء الذي خرج عن الإطارين أسفل الشاهد، كما تجلت هذه البراعة النادرة في تحلية بعض حروف النص بزخارف شبه مضفرة. (الشكل رقم ٣). وأخرى نباتية بأشكال مروحية أو نجمية أو وردة من شكل ما في الإطار الخارجي، مما قل مثيله في الشواهد المكية، على الرغم من أن الشاهد في إحدى ضواحي مكة المكرمة.

وإن دلت هذه الحفاوة بالشاهد على شيء، فلأنه لأحد أبناء الأسرة الحاكمة في مكة[١٢١]. في حدود القرن الخامس ممن يَقْدِر بالجاه أو المال أو بهما معًا، على تنفيذ هذا الشاهد الجميل بخطه ومظهره وجمال زخارفه. فضلاً عن روعة وجمال مفرداته التي تنم عن الإيمان بالله عز وجل وترجو رحمته وتخشى عذابه.

قراءة النص التأبيني للشاهد الثاني:

لم أجد صعوبة في قراءة هذا النص، فليس به عيوب أو تلف تخفي شيئًا من معالمه؛ وليس في مفرداته شيء من غريب اللغة، كما أن النص قصير جدًا؛ غالبه بسملة وصلاة على المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وآله الطيبين، ثم سرد لنسب الميت الذي ضم خمسة جدود، هذا فضلاً عن

(١٢١) ينتسب الحسنيون إلى جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣٠٦/٢؛ و**العقد**، ٤٢٧/٣.

خطه الواضح الذي ضم (٤٩) كلمة وزعت على (١٣) سطرًا، جاءت على النحو التالي:

	١	٢	٣	٤	٥	٦
١	أنا	ميت				
٢	وعز	من	لا يموت(١٢٢)			
٣	قد	تيقنت	أني			
٤	سأموت	ليس	مُلَك			
٥	يزيله	الموت	مُلكًا(١٢٣)			
٦	إنما	الملك	ملك	من	لا	
٧	يموت(١٢٤)	بسم	الله	الر		
٨	حمن	الرحيم	وصلى			
٩	الله	على	محمد	النبي	و	
١٠	على	آله	الطيبين	الأخيار		
١١	هذا	قبر	بشير	بن(١٢٥)	على(١٢٦)	بن

(١٢٢) التاء ناقصة من النص.

(١٢٣) قرأها الحارثي: (ملكه)، وهو خطأ لا يحتمله السياق، سيما وأن الألف واضحة في النقش.

(١٢٤) ذكر الحارثي أنه لم يتمكن من معرفة الشاعر. وقد أوردها ابن كثير نقلاً عن ابن الجوزي الذي قال هي من شعر عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى، وهما:

أنا ميت وعز من لا يموت ... قد تيقنت أني سأموت

ليس ملك يزيله الموت ملكًا ... إنما الملك ملك من لا يموت

انظر: **البداية والنهاية**، ٩/٢١٤.

(١٢٥) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

(١٢٦) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

تابع الجدول:

	١	٢	٣	٤	٥	٦
١٢	بشير	بن(١٢٧)	محمد(١٢٨)	بن(١٢٩)	بشير(١٣٠)	
١٣	الحسيني	الشهيد	رحمه	الله		

التحليل والمقارنة:

لا تتوافر في هذا النص كل مقومات الشاهد الإسلامي(١٣١)، فقد خلا الشاهد من آية كريمة أو حديث شريف، يستحث القارئ الزائر لموضع الدفن على الترحم على الميت ولو بعد حين، كما هي الحال في معظم الشواهد المكية(١٣٢)، كما خلا من ذكر سنة الوفاة التي تعد ضرورية لكل باحث عن ترجمة المتوفى، إذا كان من أهل الشهرة والجاه(١٣٣). كما أن هذا الشاهد المتميز عن غيره بدقة الزخرفة وجمال الخط، ليس له في أسفله ما يعينه على

(١٢٧) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

(١٢٨) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

(١٢٩) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

(١٣٠) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

(١٣١) جمعة: المرجع السابق، ص٨٤.

(١٣٢) انظر **أحجار المعلاة الشاهدية**، الشاهد رقم (٣١٧، ٣٤٦ت، ٣٥٠)، وغيرها كثير.

(١٣٣) عن قيمة الشواهد كوثائق ثابتة انظر. غالب: المصدر السابق، ص٢٣٣؛ وجمعة في المصدر السابق، ص٨٣ وما بعدها. وقد ذكر حسن عثمان في كتابه القيم: **منهج البحث التاريخي**، ص٧٠ وما بعدها أهمية الوثائق في الوصول إلى الحقائق التاريخية، وانظر **أحجار المعلاة الشاهدية**، الشاهد رقم (٤١٦)؛ الفاسي: **الشفاء**، ٢/٩٠٣، ٣١١.

الارتكاز ليبقى واقفًا عند رأس القبر؛ إلا بدفن جزء منه حوى سطرًا مهمًا من النص التأبيني، ومرد ذلك إلى أن النقاش أُجبر على نقش مفردات غير ضرورية من نسب المتوفى، بلغت عشر كلمات في مساحة صغيرة، أخلت في النهاية باستكمال الأطر الهندسية والنباتية التي أحاطت بالنص من ثلاث جهات.

وليس من تفسير لهذا العيب في الشاهد؛ إلا الاعتقاد بأن النقاش أعد الشاهد قبل وفاة صاحبه، إما بطلب منه وهو على قيد الحياة، كما لوحظ ذلك في بعض الشواهد المكية(١٣٤)، أو بقصد عرضها للبيع مستقبلاً، فلما جاء من يرغب فيه لوضوح مميزاته التي ذكرناها سابقًا، اصطدم النقاش بكثرة الأسماء التي يجب عليه ذكرها مع الاسم الأول، فزاد في عدد الكلمات التي نقشت في السطر العاشر عما قبلها وما بعدها. وكان بوسعه إقناع الراغب في اقتناء الشاهد، باستبعاد ما لا ضرورة له من أسماء الأجداد لتكتمل الأطر الهندسية والنباتية التي جاءت معيبة بالإضافات التي خرجت عن حدود الأطر التي رسمها من قبل.

وفي ظني أن مرد خلو الشاهد من سنة الوفاة، انعدام المساحة الكافية لنقش مفرداتها، ولم يجد مبررًا لنقشها في أعلى الشاهد. الذي امتلأت جوانبه بالزخارف النباتية والهندسية، مع وجود أمثلة لاستكمال بعض النواقص في

(١٣٤) الزهراني، عبدالرحمن: **كتابات إسلامية من مكة المكرمة**، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ، ص٤٣٤.

شواهد مكية منشورة[١٣٥]. أما نسبته إلى القرن الرابع الهجري، كما ذكر الحارثي[١٣٦]، فأمر لا تؤكده السمة البارزة في خطه الجميل، الذي يجمع بين الرشاقة والاستقامة في الألف، واللام، والتشابه في الدال والكاف الأخيرة، وكذلك اللام المفردة التي تظهر أحيانًا على شكل المقص، وأحيانًا أخرى على هيئة الكأس، وحرف النون الأخيرة التي تنتهي بفرع يرتفع عن بداية الكلمة كما في كلمتي "من"، "بن"، أما الياء المقصورة فقد رسمت في نهاية الكلمات التي ألحقت بها على شكل ياء صغيرة تشبه ذيل السمكة، كما في كلمتي "صلى"، و"على"، في الأسطر (٨، ٩، ١٠، ١١).

وإذا ما قارناه بشواهد مكية مؤرخة في القرن الرابع وجدنا البون شاسعًا في دقة وجمال حروف هذا الشاهد، وغلظ وخشونة الشاهد الذي درسناه أولاً، والمؤرخ في حدود سنة ٣٩٠هـ. وعند المقارنة بشواهد من القرن الثالث، نجد تشابهًا لا يمكن الجزم به على وجه اليقين، بيد أن خطوط القرن الخامس الهجري أقرب من سابقتها لهذا الشاهد[١٣٧]. سيما وقد وجد في مكة شواهد بالخط الكوفي، منها ما هو مؤرخ في سنة ٧٠٨هـ[١٣٨]. مما يؤكد القول بأن الخط

(١٣٥) وكالة الآثار: **أحجار شاهدية**، الشواهد رقم (٣٤٦/أ، ٣٥٨، ٣٨١، ٣٩٤، ٤٠١/أ، ٤٩٤)؛ وانظر الحارثي: **أحجار شاهدية غير منشورة**، الشاهد رقم (٢١)؛ و**أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث بمكة**، الشاهد رقم (٥٥).

(١٣٦) **أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث**، ص٧٨.

(١٣٧) انظر وكالة الآثار: **أحجار شاهدية**، الشاهد رقم (٥٠٠، ٥٥٩).

(١٣٨) وكالة الآثار: المصدر السابق، ص٥٥٤، الشاهد رقم (٥٠٨).

الكوفي امتد إلى ما بعد نهاية حكم صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤ - ٥٨٩هـ)[١٣٩].

ويمكن تلمس طريقة النقاش في رسم حروف الشاهد وتحلية بعض كلماته بزخارف نباتية دقيقة تظهر متباعدة بين الحروف في شواهد نشرها الحارثي في مجلده الذي حوى الشواهد الثلاثة التي اخترناها للدراسة، وأرقامها التسلسلية في المتحف قريبة من الأرقام التي اخترناها، فإذا صدق هذا الظن، فهي من الشواهد التي وجدت في النوارية، وأرقامها (٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٨)، وجميعها غير مؤرخة، مما يرجح قدوم النقاش إلى مكة المكرمة في أحد مواسم الحج، لعدة أعوام من إحدى البلدان الإسلامية، فلما عرفت مهارته في نقش الشواهد طلب منه نقش هذه الشواهد التي يجمع بينها قواسم مشتركة منها جمال الخط، وتشابه الزخارف النباتية، وعدم اكتمال الأطر التي أحاطت بنصوصها التأبينية؛ إلا من الجانب السفلي، وربما يكون قد كتبها في زيارة واحدة، وأصحابها على قيد الحياة وترك ما يكفي لنقش سنة الوفاة وشهرها ويومها.

أما كلمة "الشهيد" التي جاءت في وسط السطر الأخير، والتي تجمعه في هذا اللقب مع الشاهد الأول، والمؤرخ في حدود سنة ٣٩٠هـ[١٤٠]، فأمر لا نجده في الشواهد الأربعة التي تشبهه، فلماذا جاءت في هذا الشاهد في نهاية النص

(١٣٩) جمعة: المرجع السابق، ص٨٥.

(١٤٠) انظر الهامشين رقم (٢٨، ٩٤).

التأبيني، وما علاقتها بالبيتين المنقوشين في أول الشاهد، اللذين يؤكدان الموت على كل حي ويدعوان إلى الزهد في الدنيا وملكها؟ ولماذا خلا الشاهد وأمثاله من ألفاظ التشيع التي وجدناها في الشاهد الأول؟ وجميعها في مقبرة واحدة. إن الأمر يؤكد انتساب الشاهد إلى العصر الأيوبي، الذي قضى على معظم رواسب العصر الفاطمي في مصر والحجاز وبلاد الشام من التشيع وأنصاره، والناس كما يقول المثل المشهور على دين ملوكهم(١٤١)، وفي الأثر المشهور: "لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن"(١٤٢).

٣ - الشاهد الثالث المؤرخ سنة ٥٨٨هـ:

كتب الشاهد بخط الثلث(١٤٣)، وهو أجود خطوط النسخ التي استخدمت في كتابة الشواهد والنقوش التأسيسية منذ

(١٤١) انظر: السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ): **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٥١٧.

(١٤٢) ذكره ابن عبدالبر بلفظ مختلف منسوبًا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية، الرباط، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ط١، ص١١٨؛ وذكره الخطيب البغدادي باللفظ المثبت منسوبًا إلى عمر بن الخطاب، انظر **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤/١٠٨.

(١٤٣) كان خط النسخ قد شهد تطورًا كبيرًا في الشام منذ أواخر القرن الخامس الهجري، وقد أدى هذا التطور في مصر والعراق وبلاد الشام إلى تطور كبير في خط الثلث والثلثين وخط التعليق الفارسي. انظر **الموسوعة العربية العالمية**، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ١٠/٩٩.

أوائل العصر الأيوبي[١٤٤] وميزت بعض جمله بخط عريض تمثل في اسم المتوفاة[١٤٥] ونسبها الكامل إلى ثلاثة عشر جدًا.

وقد نقش الشاهد على حجر من البازلت، وقد نشره الحارثي في سنة ١٤٢٦هـ مع غيره من الشواهد التي نسبها خطأ إلى مقبرة المعلاة، وصنفه تحت الرقم (٧١)، وقدر أبعاده بـ ٦٨ × ٣١ سم[١٤٦]، خلافًا لما قمت به من قياس في زيارتي الأولى لدار الرجل الذي عرض الشواهد في سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م[١٤٧].

ولأن الشاهد الذي ندرس خصائصه الفنية، يدخل في الإطار الزمني لعصر الدولة الأيوبية (٥٦٧ - ٦٤٨هـ)[١٤٨]، فتاريخه المدون بوضوح في نهاية الهامش السفلي للشاهد في سنة ٥٨٨هـ، ينفي ما ذكره محرر جريدة الندوة في قراءته للنص المدون في نهاية الشاهد من أن وفاة صاحبة الشاهد كانت في سنة ١٨٨هـ[١٤٩].

(١٤٤) جمعة: المرجع السابق، ص٧٧، ٨٥.

(١٤٥) "هذا قبر الشريفة رية".

(١٤٦) إبراهيم، حسن: المرجع السابق، ٣٢٢/٤، ٣٢٣.

(١٤٧) انظر **أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث**، بمكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٨٥.

(١٤٨) وهي تزيد وتنقص عن الأبعاد المذكورة بقليل من السنتميترات، وتحدد بشكل مؤكد أبعاد الجزء المنقوش داخل الوجه الأملس للحجر كالتالي: من الأعلى ٢٣سم، ومن الأسفل ٢٢سم، ومن اليمين ٥٣سم، ومن اليسار ٥٢سم.

(١٤٩) انظر العدد ٩١١٤ الصادر في يوم السبت ٢١ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ، ص٥.

فقد عرف وشاع بين دارسي الخط العربي فترات السيادة لكل من الخط الكوفي والنسخي، حتى صار ذلك من المسلمات التاريخية، وبذلك يتأكد انتماء النقش إلى بداية العصر الأيوبي بسلسلة من النسب التي تصل المتوفاة بالأمير عيسى بن فليتة الذي حكم مكة المكرمة أربع عشرة سنة (٥٥٦ - ٥٧٠هـ)[١٥٠].

أما والدها بركة بن عيسى فلم نجد له ذكرًا في الكتب التي اهتمت بأحداث هذا العصر، ولا في التراجم التي أوردها الفاسي في عقده الثمين، مما يرجح تبعيته لأحد أخويه؛ المتنافسين على حكم مكة المكرمة في القرن السادس الهجري، وتأثره بما دار بينهما من خلاف. بيد أن عبارات التمجيد التي سجلت على الشاهد، ووصفته بالأمير الأجل، توحي بأهمية مركزه آنذاك، فقد شهد حكم أخيه مكثر نزاعًا متعدد الأطراف؛ تارة بينه وبين أمير الحج العراقي طاشتكين في سنة ٥٧١هـ[١٥١]، وأخرى بينه وبين صلاح الدين الأيوبي على المكوس في حدود سنة ٥٨٠هـ[١٥٢]، الأمر الذي يرجح اتصال بركة بن عيسى بالعباسيين أو الأيوبيين أو بهم معًا؛ بغية الفوز برضاهم عنه. فكثيرًا ما كان ينقلب الأخ على أخيه في هذه الفترة من حكم الأشراف الهواشم، أو يتآمر عليه

(١٥٠) انظر نسبه كاملاً عند الفاسي في **العقد الثمين**، ٦/٤٦٥، ٤٧٠، فقد حكم مكة من سنة (٥٥٦-٥٧٠هـ).

(١٥١) الفاسي: **الشفاء**، ٢/ ٣٦٧؛ **العقد**، ٧/ ٢٧٥.

(١٥٢) ابن جبير، المصدر السابق، ص٤٨؛ الفاسي: **الشفاء**، ٢/٣٦٩؛ **العقد**، ٢/٢٧٧.

ليفوز بمنصبه، أو يريهم قدرته على تحقيق المآرب المرجوة من أمير مكة المكرمة[١٥٣]؛ ولهذا فقد ظلت مخاوف مكثر مسيطرة عليه طيلة حياته التي انتهت في نهاية القرن السادس الهجري[١٥٤].

وبموت مكثر بن عيسى انتهت آمال بركة بن عيسى، مع آمال غيره من الأشراف الهواشم، في العودة إلى حكم مكة المكرمة، بمجيء الشريف قتادة بن إدريس مؤسسًا قويًا لحكم الطبقة الرابعة من أشراف مكة المكرمة.

قراءة النص التأبيني للشاهد الثالث:

تميز الشاهد بتنظيم جيد لمجمل النص التأبيني، الذي اختير بعناية فائقة تناسب المكانة الاجتماعية للمتوفاة، فوزعه النقاش داخل أطر هندسية أحاطت بالنص من جميع الجهات، على شكل مستطيل يمتد من الأعلى إلى الأسفل. ثم قسم النص إلى خمسة أقسام: قسم في أعلى المستطيل يضم لفظ الجلالة مكررًا على جانبي العقد الثلاثي من الأعلى.

أما القسم الثاني فشغل به الجزء الأعلى من وسط الشاهد ووزعه على ستة أسطر حوت (٣٦) كلمة قرآنية جاءت على النحو التالي:

(١٥٣) انظر الفاسي: **الشفاء**، ٣٦٨/٢؛ **العقد**، ٢٥٤/٢ - ٢٥٦، ٢٧٥/٧.

(١٥٤) ذكر الفاسي ثلاثة أقوال عن وفاة مكثر أحدها سنة ٦٠٠هـ، والثاني ٥٨٩هـ، والثالث ٥٩٠هـ. انظر **العقد الثمين**، ٢٧٨/٧ - ٢٧٩.

بسم	الله	الرحمن	الرحيم(١٥٥)				
إن	الذين	قالوا	ربنا	الله	ثم	استقاموا	تتنزل
عليهم	الملائكة	ألا تخافوا	ولا تحزنوا				
وأبشروا	بالجنة	التي	كنتم	توعدون	نحن	أولياؤكم	
في	الحياة	الدنيا	وفي	الآخرة	ولكم	فيها	ما
تشتهي	أنفسكم	ولكم	فيها	ما	تدعون(١٥٦)		

أما القسم الثالث فكانت الحفاوة به واضحة في ضخامة الحروف وقلة المحتوى، وقد بدأه بحرف الإشارة: "هذا قبر الشريفة رية"(١٥٧)، وذلك ليميزه عن بقية النص ويلفت الانتباه إليه.

أما القسم الرابع فاستكمل فيه نسب المتوفاة على النحو التالي:

ابنة	الأمير	الأجل	بركة(١٥٨)	بن	عيسى	بن	فليته	بن		
القاسم	بن	محمد	بن	جعفر	بن	محمد	بن	عبدالله	بن	موسى
الجون	بن	عبدالله	المحض	بن	الحسن	بن				
الحسن	بن	أمير	المؤمنين	علي	بن	أبي	طالب	رضي	الله	عنه

(١٥٥) لم يذكرها الحارثي في قراءته للنص.

(١٥٦) سورة فصلت، الآيتان٣٠، ٣١.

(١٥٧) قرأها الحارثي: (بركة)، وهو خطأ سأشير إليه عند التحليل والمقارنة، ص٢٢.

(١٥٨) قرأها الحارثي: (مكثر)، وهو خطأ سأشير إليه فيما بعد.

ولأمر في نفس النقاش زاد في محتوى النص التأبيني فأضاف إلى الآيتين السابقتين من سورة فصلت، على ما فيهما من بشرى طيبة لمن أحسن الظن بالله عز وجل، آية الكرسي بكاملها، فجعلها داخل إطار يحيط بالنص السابق من الأعلى ومن الجانب الأيمن والأيسر وذلك على النحو التالي:

الجانب الأعلى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾.

الجانب الأيسر - من الأعلى إلى الأسفل -: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ﴾.

الجانب الأيمن - من الأسفل إلى الأعلى -: ﴿مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(١٥٩). صدق الله العظيم.

أما القسم السفلي من هذا الإطار فنقش فيه تاريخ الوفاة، وبدأه بما يلي: توفيت في يوم السبت الرابع من شهر...(١٦٠) سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

التحليل والمقارنة:

أضاف هذا الشاهد المنقوش بالخط النسخي دليلاً قويًا على تقلص السيطرة التي فرضها الخط الكوفي على النقوش

(١٥٩) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(١٦٠) سترد مناقشة التاريخ فيما سيأتي.

التأسيسية والتأبينية في العالم الإسلامي حتى أواخر العصر الأيوبي[١٦١]. وإذا كان الشاهد قد افتقر إلى ذكر اسم النقاش كما هي العادة في كثير من الشواهد المكية[١٦٢]، فإن وجوده ضمن الشواهد التي عثر عليها في النوارية في سنة ١٤٠٩هـ[١٦٣]، يرجح الاحتمال بحضور النقاش إلى موقع القرية الواقعة خارج حدود الحرم المكي الشريف. وقد يكون النقاش من خارج الحجاز ممن امتهن هذه المهنة وتميز فيها، أو من عمال أحد النقاشين المشهورين في مكة المكرمة، فقد وجد في الشواهد المكية التي نشرتها وكالة الآثار، نقش مماثل له في التصميم وطريقة التنفيذ ونوع الخط، لأمير هاشمي توفي سنة ٦٥٦هـ[١٦٤]، من عمل النقاش عبدالرحمن بن أبي حرمي[١٦٥].

وإذا كانت الشريفة رية التي أخطأ الحارثي في قراءة اسمها ووضع بدلها بركة[١٦٦]، وهو اسم يذكر

(١٦١) جمعة، المرجع السابق، ص٧٧.

(١٦٢) **أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة**، الشاهد رقم ٢٦٦، ٥٠٧، ٥٢١.

(١٦٣) انظر ما سبق.

(١٦٤) هو قاسم بن فليتة. انظر الفاسي: **العقد**: ٣٤/٧، ٣٥.

(١٦٥) الشاهد رقم٢٦٦.

(١٦٦) انظر الحارثي، **أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث بمكة المكرمة**، ص٨٥، وقد قرأتها: (ريه) عند زيارتي للشواهد سنة ١٤٠٩هـ، وقرأها محرر الجريدة كذلك. انظر **جريدة الندوة**، العدد٩١١٤، ص٥، ويتجلى بوضوح من خلال التفريغ الذي نُشر أنه لا يظهر على حرف الراء فيما لو كان اسمها بركة اتصال بحرف سابق، بل يظهر انفراد الراء في أول الاسم كما في الشكل التالي من حروف الثلث ، ولا أثر لنقطة الباء ولا لنقطتي التاء المربوطة. انظر الشكل رقم (٤).

ويؤنث[١٦٧]، لم ترد في تراجم النساء عند الفاسي في عقده الثمين، فإن الأحداث التي عصفت بمكة المكرمة آنذاك؛ وأخرجت عمها داود بن عيسى بعد عزله من الإمارة سنة ٥٨٧هـ إلى وادي نخلة حيث توفي بها سنة ٥٨٩هـ[١٦٨] تجعل من المؤكد خروج أسرتها من مكة المكرمة إلى وادي سرف القريب من وادي فاطمة الذي يملك غالبه بعض أسر الأشراف[١٦٩].

أما الألقاب التي تضمنها الشاهد فاقتصرت على ثلاثة، أحدها للمتوفاة وهو تأنيث لكلمة الشريف، الذي كان لقبًا عامًّا لكل عباسي في بغداد، وكل علوي في مصر[١٧٠]. وقد أطلق في بعض الشواهد المكية على كل ذكر أو أنثى من السلالات التي تعاقبت على حكم مكة المكرمة بدءًا من أول القرن السادس الهجري[١٧١].

وكان اللقب الثاني والثالث لوالدها الذي عُرِّفَ بالأمير الأجل، فالأمير لقب يعود إلى عهد النبي ﷺ؛ حين كان يقصد به الولاية، ثم صار يدل على الوظيفة، ومن بعد ذلك على أفراد الأسر الحاكمة، كالأيوبيين وغيرهم[١٧٢] ثم

(١٦٧) انظر الفاسي: **الشفاء**، ١/٣٤٦، ١٧٤، ٥٦٠؛ **العقد**، ٣/٣٦١، ٨/٢١٩، ٢٢٠.

(١٦٨) الفاسي: **العقد**، ٤/٣٥٦.

(١٦٩) البلادي، المرجع السابق، ص٢٦٢.

(١٧٠) الباشا، المرجع السابق، ص٣٥٧.

(١٧١) انظر **أحجار المعلاة الشاهدية**، (٢٦٦، ٤٠١/أ، ٤٢٥، ٥٤٩)؛ والفاسي: **العقد**، ٨/٢٢٠، ٢٩٤، ٢٩٨.

(١٧٢) الباشا، المرجع السابق، ص١٧٩ - ١٨٦.

صار يطلق على أبناء البيت الحاكم في مكة في جميع العهود[١٧٣].

أما الأجل فلقب شائع في العالم الإسلامي، عرف أولاً في المشرق وكان يطلق في القرن الرابع الهجري على أهم أمراء الولايات المستقلة عن بغداد، ثم أطلق لاحقًا على بعض الوزراء في العصر الفاطمي، ومن بعد ذلك تلقب به القضاة والكتاب، ثم تعمم في العهد الأيوبي ليشمل السلاطين والتجار وغيرهم من رجال الدولة[١٧٤]، وكان لابد أن تتلقب به الأسر الحاكمة في مكة المكرمة[١٧٥].

ويأتي اسم هذا الأمير على غير المألوف من الأسماء المشهورة في زمنه "بركة بن عيسى" وهو اسم يذكر ويؤنث[١٧٦]. بل هو من الأسماء المفضلة عند العرب للذكور والإناث من الرقيق[١٧٧]، فهل لنفوذ أخويه[١٧٨] أثر في عدم بروزه في الأحداث التي جاءت بعد وفاة والده؟

لقد أخطأ الحارثي في قراءته لهذا الاسم، فقد ذكر مكثر بن عيسى، وهو خطأ لا يحتمله النقش الذي يظهر فيه اسم

(١٧٣) الفاسي: **العقد**، ٤٣٩/١، ٤٢٩/٣، ٨٦/٤، ٢٠/٧، ٢٧٤.

(١٧٤) الباشا، المرجع السابق، ص١٢٦ - ١٣٤؛ **أحجار المعلاة الشاهدية**، الشاهد رقم ٣٨٣.

(١٧٥) **أحجار المعلاة**، الشاهد رقم (٥٤٩، ٤٠١ /أ).

(١٧٦) انظر الفاسي: **العقد**، ٣٦١/٣، ١٨٨/٢.

(١٧٧) كسعيد، ومبروك، وفيروز، ومرجان، وقد أورد الفاسي في **الشفاء** ثلاثة أسماء لأعيان من المماليك في مصر. انظر ١٧٤/١، ٣٤٦، ٥٦٠.

(١٧٨) وهما: مكثر بن عيسى، وداود بن عيسى.

بركة واضحًا جليًا، الشكل رقم (٤)، ولا تؤيده نقول الفاسي التي ذكرت أسماء ستة من أولاد مكثر[١٧٩]، ليس منهم من تسمى ببركة.

أما الشهر الذي تعذر تحديده في تاريخ الوفاة، لتلف أصاب هذا الجزء من الشاهد، بعد أن ذُكِرَ قبله يوم السبت المعدود بالرابع من أيام الشهر المجهول، فقد جاء في كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية[١٨٠]. أن سنة ٥٨٨هـ استهلت بيوم السبت، ومن ثم فإن ورود اليوم الرابع في النص لا يتوافق إلا مع شهر شوال. إذا اعتبرنا أن شهر محرم ٣٠يومًا وهو ما يتوافق مع ما ذكره كتاب التوفيقات من أن أول يوم في شهر ذي الحجة يوم الثلاثاء الموافق ١٨ديسمبر ١١٩٢م[١٨١].

(١٧٩) قال الفاسي: ومن أولاد مكثر أحمد ومحمد وهُنَيَدة وحسنة وكرامة وشميل. **العقد**، ٢٧٩/٧.

(١٨٠) الباشا، محمد مختار، تحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٦٢٠/١.

(١٨١) الباشا، محمد: المرجع السابق، ٦٢٠/١.

نتائج البحث:

لما كانت الوثائق المكتوبة بأنواعها المختلفة من لوازم البحث العلمي وضروراته[١٨٢]؛ فإن النقوش الكتابية تضاهيها في الأهمية، وتزيد عليها في الدلالات المختلفة، فإلى جانب الأهمية التاريخية التي تظهر بوضوح في النقوش التأسيسية التي تؤرخ لمنشآت دينية أو مدنية أو عسكرية؛ فإن الشواهد التأبينية المنقوشة على الرخام أو الحجر، ذات دلالات متعددة، لا غنى للباحث الجاد من الاعتماد عليها في جوانب مختلفة من البحوث السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الأدبية.

وقد أفاد أحد العلماء المصريين من بعض هذه الجوانب في كتاب مميز له سماه "الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار"[١٨٣]، مما يجعلها مرجعًا مهمًا للباحث في الآثار والتاريخ. وكتاب آخر لا يقل أهمية عن سابقه سماه "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية"، في ثلاثة مجلدات.

ويشعر كل من اطلع على ما نشر من الشواهد المكية بثراء ما تحتويه من معلومات؛ خاصة المجلد القيم الذي صدر عن وكالة الآثار والمتاحف في وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، والذي حوى (٥٩١) شاهدًا امتدت على

(١٨٢) اعتبرها حسن عثمان من العلوم المساعدة، وتحدث عنها وعن غيرها مطولاً في أول فصل من كتابه المعروف: **منهج البحث التاريخي**، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦م، ص٢٨ وما بعدها.

(١٨٣) الباشا، حسن، دار النهضة العربية، الإسكندرية، ١٩٧٨م.

مدى عدة قرون[١٨٤] عكست بتنوع مفرداتها التأبينية المستوى العام للنواحي الأدبية. كما دلت من جانب آخر على أهمية التوحيد في حياة المسلم، فقلما تجد شاهدًا خلا من سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غير ذلك من الآيات التي تتضمن الرحمة والعفو من الله عز وجل للمتوفى.

أما التنوع العرقي فقد تجلى بوضوح في أنساب المتوفين من المكيين وغيرهم، ومرده إلى مواسم الحج التي أتت بهذه الأسر جماعات أو فرادى من أقطار العالم الإسلامي المختلفة على مدى قرون عدة. ومما له علاقة بهذا الجانب حرص بعض المتنفذين من الحكام والأثرياء في عصور مختلفة من التاريخ الإسلامي على نقل رفاتهم بعد تحللها من بلدان بعيدة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة[١٨٥]، مع ما في ذلك من المشقة التي لا تجد لها سندًا شرعيًا، فالله عز جل مع العبد في كل زمان ومكان[١٨٦].

ومما يلمسه القارئ لهذه الشواهد تنوع الخطوط بين كوفي بسيط، وآخر مورق، أو مضفر أو نسخي متنوع، ولكل من هذه الخطوط فترات سيادة أو أفول، حتى إن بعضها حوى نوعين من الخطوط، فقد ميزت بعض الشواهد اسم المتوفى بخط كوفي غليظ في وسط الشاهد ونقشت بقية العبارات التأبينية بخط نسخي بسيط.

(١٨٤) بدئت بالقرن الثاني الهجري وانتهت بالشاهد رقم (٣٨٦) المؤرخ بـ ٩٧٤هـ.

(١٨٥) انظر الفاسي: **العقد**، ٢/ ٢١٧، ٣/ ٤٤٧، ٦/ ٤٢٤.

(١٨٦) قال تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ [**البقرة**: ١١٥] .

أما الألقاب والوظائف فتظهر بوضوح في قبور العلماء والأثرياء وأفراد الأسر الحاكمة في مكة من الأشراف، وأمراء الدولة العباسية والأيوبية والرسولية والمملوكية والعثمانية، ممن وافتهم المنية في بلد الله الحرام، أو نقلت نعوشهم إليها. وقد تنوعت هذه الألقاب بين الأمير، والأجل، والشهيد، والتائب، والعابد، والشاب، والشيخ، والقاضي، وغير ذلك من الألقاب المتنوعة.

ولا يخفى على المدقق في هذه الشواهد، ما يتميز به بعضها من حفاوة في العبارات التأبينية التي نوعت في اختيار الآيات القرآنية، والأدعية والأشعار المناسبة حتى زاد عدد الكلمات في بعضها على (١٩٠) كلمة[١٨٧]، بينما اقتصرت بعض الشواهد على (١٧) كلمة تضمنت البسملة، وذكر المتوفى وطلب الرحمة له ولوالديه[١٨٨].

كما أن من السمات الغالبة على كثير من هذه الشواهد لجوء النقاشين إلى الكتابة البارزة التي مهروا فيها بقشر ما يحيط بالنص التأبيني من الفراغ، ولم يلتزم كثير منهم بالمحافظة على حدود النص، الذي يفترض أن يكون قد وزع بإتقان على المساحة المتاحة للنقش، مما يجعل من النادر العثور على نقش سليم من العيوب الفنية.

ولأن مكة المكرمة قد خلت من مناجم الرخام فقد لجأ النقاشون إلى استخدام الأحجار المحلية، التي تباينت في

(١٨٧) انظر الشاهد رقم (٤١١) والمؤرخ سنة ٥٩٥هـ، ليوسف بن عبدالله بن أبي الفتح، والذي لقب بالشاب المفارق الأهل والأحباب.

(١٨٨) انظر الشاهد رقم (٦٣، ٦٥، ٧٠، ٧٧).

لونها وكبرها أو صغرها، بل في حجمها وسماكتها، حتى عدت ظاهرة ملحوظة في جميع الشواهد المكية المنشورة. ومن السمات النادرة في هذه الشواهد كتابة بعض النقاشين المشهورين لأسمائهم في أطراف بعض الشواهد(١٨٩)، فإذا أرجعنا هذه الرغبة إلى الدعاية وطلب الشهرة، فإنهم ممن اشتهروا وعرفوا بكتابة الوثائق في المحاكم الشرعية كابن أبي حرمي(١٩٠)؛ فما الذي ألجأهم إلى ذلك؟

إن مرد ذلك كما يبدو لي رغبة أكيدة في أن ينال النقاش نصيبًا من الدعاء الذي يتكرر على مدى عقود، من أقرباء الميت أو زائري المقبرة في كل وقت وحين(١٩١)، سيما وأن قبور المعلاة غير ثابتة فقد يدفن معه في القبر غيره بعد ستة أشهر على ما شاهدت بنفسي في الوقت الحاضر. وقد أسهم ذلك في ضياع كثير من الشواهد التي أزيلت بتقادمها أو تلفها أو دفنها عند تجديد المقبرة على مر العصور.

(١٨٩) انظر الشاهد رقم (٢٦٦، ٤٥٣، ٥٠٧، ٥٥٦).

(١٩٠) الفاسي: **العقد**، ١/ ٤٢٣.

(١٩١) انظر **أحجار المعلاة**، الشاهد رقم (٣١٧، ٣٤٦/ ب، ٣٥٠، ٣٨٩/ ب).

الملاحق

الشكل رقم (١)

تفريغ حروف الشاهد الأول

الهجائية العربية	المفردة	المتصلة		
		أول الكلمة	وسط الكلمة	آخر الكلمة
ا		—		
ب ت ث				
ج ح خ				
د ذ		—	—	
ر ز		—	—	
س ش				
ص ض				
ع غ				
ف ق				—
ك	—		—	
ل	—			
م	—			
ن				
هـ	—			
و		—	—	
ي				

الشكل رقم (٢)

نقلاً عن الحارثي في أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث ، الشاهد رقم ٦٩

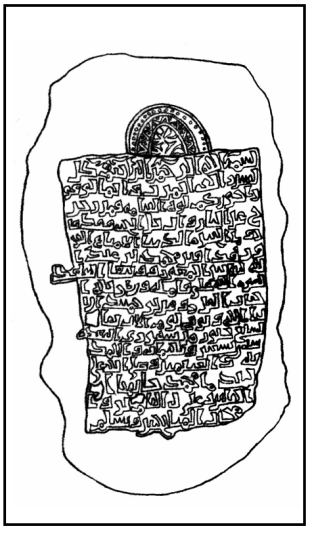

الشكل رقم (٣)

نقلاً عن الحارثي في أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث ، الشاهد رقم ٦٤

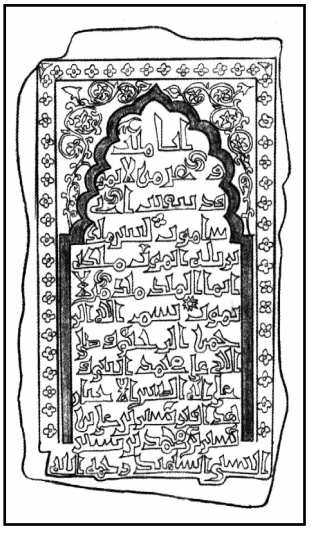

الشكل رقم (٤)
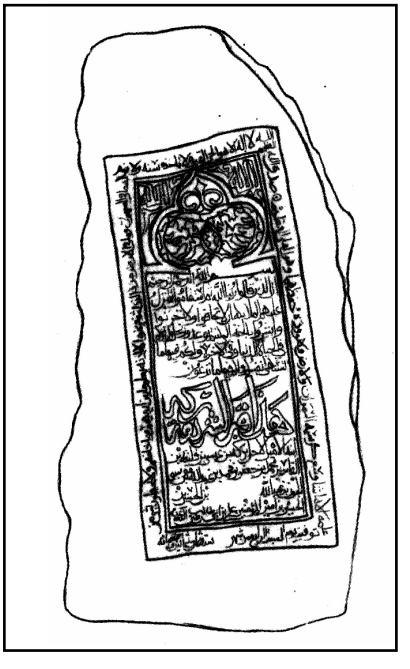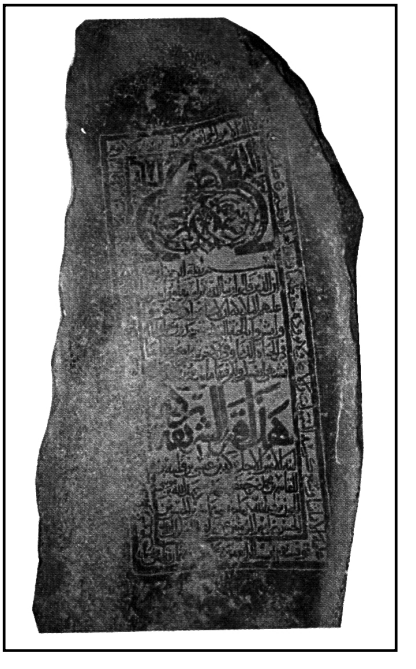
نقلاً عن الحارثي في أحجار شاهدية من متحف الآثار والتراث ، الشاهد رقم ٧١